بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون (دراسة أسلوبية)

إعداد

معتصم محمد صالح الصمادي

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي

المشرف المشارك

الأستاذ الدكتور مصطفى عليان

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في اللغة العربية وأدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب ٢٠٠٣م

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار مناقشـــة

قـدّمت هـذه الرسـالة للمناقـشة بتـاريخ ٢٠٠٣/٨/٢١م، وأجيزت من قبل أعضاء لجنة المناقشة :

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
١- الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علـــي رئيساً . أستاذ البلاغة العربية.	.....
٢- الأستاذ الدكتور مصطفى عبـد الـرحيم عليان مشاركاً . أستاذ النقد الأدبي.	.....
٣- الدكتور عبد الكريم أحمد الحياري عضواً. أستاذ مساعد في البلاغة العربية.	.....
٤- الدكتور محمد علي أبو حمدة. عضواً أستاذ مساعد في النقد الأدبي.	
٥- الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي. عضواً أستاذ في النقد الأدبي.	.....
	.....

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الإهـــــــــداء

إلـى الثلـة المؤمنـة الـصابرة، التـي تـدافع عن كرامـة الأمـة، الثلة التي جاءت سورة (المؤمنون) لترسم أفقها السامي.

إلى والدي الحبيب، الذي له الفضل الذي لا ينسى في تعليمي وتربيتي.

إلى والدتي الحبيبة، التي قدمت تضحياتها في سبيل أبنائها .

إلى زوجتي الغالية التي وقفت إلى جانبي، خطوة خطوة.

إلى أخي خالد وأخواتي جميعاً

أهدي هذا الجهد المتواضع

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وأخيراً على توفيقه وإنعامه علي بتيسير إتمام هذه الرسالة، وأسأله سبحانه، أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وبعد.

فإنني أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذيّ الكريمين، الدكتور محمد بركات أبو علي والدكتور مصطفى عليان على تفضلهما علي بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما قدماه من نصح وإرشاد وعون .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة: الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي، والدكتور محمد علي أبو حمدة والدكتور عبد الكريم الحياري .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأخ الفاضل أنس قفيشة، على ما قدم من لفتاته القيمة. وللأخوة الكرام، الذين لم يبخلوا علي بجهدهم وعونهم : عبد الله عمر الخطيب، وإيهاب أبو دية، وإبراهيم علي صالح، ومحمد توفيق، وجهاد عبابدة، ويحيى أبو مطر، وعلي أبو سعد، ومحمد هنية.

وجزى الله الجميع عن الإسلام والمسلمين كل خير ،،،،،

المحتويات

المحتويات	الصفحة
• **قرار لجنة المناقشة**	ب
• **الإهداء**	ج
• **الشكر والتقدير**	د
• **المحتويات**	هـ
• **الملخص بالعربية**	ز
• **المقدمة**	١
• **الفصل التمهيدي**	٦
ـ تعريف بسورة (المؤمنون)	٦
ـ موضوع سورة (المؤمنون) وخطوطها العريضة	٨
• **الفصل الأول: المستوى الصوتي**	١١
أولاً: - الإيقاع في مستوى الأصوات	١٤
ثانياً:- المقاطع الصوتية	٢٤
ثالثاً:- الفاصلة القرآنية	٤١
رابعاً:- إيقاع المعاني المفردة	٥٣
• **الفصل الثاني: المستوى الصرفي**	٥٧
أولاً:- بنية الأسماء	
١. النكرة	٥٨
٢. المعرفة	٦٢
أ. الضمير	٦٢
ب. العلم	٦٤
ج. اسم الإشارة	٦٥
د. الاسم الموصول	٦٧
ه. المعرف بأل	٦٩
و. المضاف إلى معرفة	٧١

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المحتويات	الصفحة
٣. الجموع	٧٣
ثانياً: بنية الأفعال	
١. الماضي والمضارع والأمر	٧٦
٢. البناء للمجهول	٧٩
٣. الأفعال الخمسة	٨١
• **الفصل الثالث: المستوى التركيبي (الجملة الاسمية والجملة الفعلية)**	٨٢
أولاً: التقديم والتأخير	٨٦
ثانياً: التوكيد والتكرار	٩٢
ثالثاً: الذكر والحذف	٩٨
رابعاً: القصر	١٠١
خامساً: الفصل والوصل	١٠٤
سادساً: الاستفهام	١١٠
سابعاً: الأمر والنهي	١١٤
ثامناً: النداء والترجي	١١٧
• **الفصل الرابع: المستوى البياني**	١٢٠
أولاً: التشبيه والاستعارة	١٢١
ثانياً: الكناية والتعريض	١٣١
• **الفصل الخامس: الوحدة في سورة المؤمنون**	١٣٦
أولاً: مقدمة تمهيدية	١٣٧
ثانياً: وحدة السورة	١٤١
• **نتائج البحث**	١٧٥
• **قائمة المصادر والمراجع**	١٧٨
• **الملخص باللغة الانجليزية**	١٨٩

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ملخص

سورة " المؤمنون " دراسة أسلوبية .

إعداد

معتصم محمد صالح الصمادي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي

المشرف المشارك

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الأستاذ الدكتور مصطفى عليان

تناول هذا البحث دراسة أسلوبية لسورة (المؤمنون)، هدفت إلى إبراز مزايا النص القرآني، واستكناه علاقاته، دون الاكتفاء بالتناول الجزئي للنص.

وقد أبانت الدراسة عن أن سورة " المؤمنون " شملت أنواعاً من الإيقاعات الصوتية، عن طريق تكرار الصوت المفرد، المتسق مع الموقف المراد تصويره، وعن طريق المقاطع الصوتية المتميزة، والفواصل القرآنية المتعددة الأنماط والطباق. وفي المستوى الصرفي، أبرزت هذه الدراسة الاستخدام المتميز للنكرة والمعرفة، وللفعل الماضي والمضارع والأمر والمبني للمجهول، وللجموع، مع ربط هذا الاستخدام بموضوع السورة العام، وفي المستوى التركيبي أبانت الدراسة عن دلالة استخدام الجمل الاسمية والفعلية في السورة، وأبرزت جوانب من الاستعمال المتميز لما يسميه علماء البلاغة موضوعات علم المعاني. وفي المستوى البياني أبانت الدراسة عن بعض أسرار التشبيه والاستعارة والكناية في السورة . وفي فصل الوحدة كشفت الدراسة عن بعض الجوانب المتميزة لتماسك النص القرآني على مستوى الآية والآيات والسورة كاملة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وهذه الدراسة تدعو الباحثين إلى بذل الجهد في فهم الجانب الصوتي (خاصة علم المقاطع) والجانب البلاغي للسور القرآنية، مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب التكاملي للسورة وعدم التجزيء في دراسة النصوص القرآنية.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة [illegible] الرقمية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

المقدمة

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، الذي كتب الفلاح لعباده المؤمنين، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين، القائل "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**"(١).

يهدف هذا البحث إلى دراسة سورة (المؤمنون) دراسة أسلوبية تستمد أصولها من جهود القدماء والمحدثين. ويهدف إلى الكشف عن مزايا النص، واستنكاه علاقاته دون الاكتفاء بالتناول الجزئي للنص، ويهدف إلى محاولة الوصول إلى فهم يؤمل أن يكون متكامل الأطراف في تفسير النص القرآني الكريم وتأويله ورصد الظواهر الأسلوبية للسورة.

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

فهذه الدراسة تحاول أن تلامس البنية اللغوية للنص القرآني من جوانبه المختلفة.

وقد اخترت دراسة تلك السورة لعدة دواع، لعل أهمها:

١. قلة الدراسات التي تناولت البنية اللغوية للنص القرآني من منظور متكامل وسورة (المؤمنون) من السور التي لم أر دراسة أفردتها بدراسة أسلوبية أو موضوعية.

وهذه الدراسة تحاول أن تفيد من جهود اللغويين المحدثين، مع الانتفاع بتراث أسلافنا البلاغي، وتحاول إدراك الخصائص الإعجازية للغة القرآنية، ورصد الظواهر اللغوية والأسلوبية في السورة؛ فكل سورة من سور القرآن الكريم لها شخصيتها المستقلة،

وسماتها المتفردة، وتحاول هذه الدراسة إبراز هذا التفرد، ومعرفة آليات صياغتها، وبنيتها العميقة، مستعينة بالمنهج الوصفي الإحصائي.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم ٥٠٢٧.

٢. أنها سورة متوسطة الطول، وهذا ما يسهل على الباحث دراسة جوانبها الفنية دراسة مفصلة حتى تتجه الدراسة عمقاً لا طولاً.

وقد سبقت هذه الدراسة دراسات تستعصي على الحصر؛ فالقرآن الكريم هو محور الثقافة العربية الإسلامية، التي انبثقت عنها الدراسات التي تناولت أسلوب القرآن ونظمه، وهي دراسات قديمة وحديثة؛ ومن بين الكتب القديمة كتب الإعجاز، ككتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني، و "النكت في إعجاز القرآن" للرماني.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومنها كتب التفسير، التي يأتي في مقدمها كتاب "الكشاف" للزمخشري، و "مفاتيح الغيب" للرازي، وتفسير "البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي، وكتاب "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للبقاعي وتفسير أبي السعود.

ومن الدراسات الحديثة كتاب "إعجاز القرآن" لأحمد بدوي و "دراسة أدبية لنصوص من القرآن الكريم" لمحمد المبارك، و "التصوير الفني في القرآن" و "في ظلال القرآن" لسيد قطب، وتفسير"التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور، وتفسير الشعراوي.

ومنها دراسات محمد بركات أبو علي في البيان القرآني، مثل كتاب " الآية التفسيرية وموقعها من البيان القرآني والبلاغة العربية" و "دراسات في الإعجاز البياني" وهما كتابان تطبيقيان للمنهج الأدبي في دراسة القرآن الكريم.

كما قامت دراسات تدرس القرآن الكريم وفن المنهج الأسلوبي الحديث، منها "دراسات قرآنية في جزء عم" لمحمود أحمد نحلة، حيث استطاع هذا البحث أن يقف على ما تميز به الاستخدام القرآني للغة في هذا الجزء من القرآن مستفيداً من الجهود اللغوية الحديثة. ومنها "البيان في روائع القرآن" لتمام حسان الذي قدم دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني بعمومه. ومنها "التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني" لخالد قاسم حسين، و "لغة الحوار في القرآن الكريم.." لفوز سهيل نزال، وهما رسالتان جامعيتان أسلوبيتان.

ومن هذه الدراسات ما تناولت سورة معينة؛ كدراسة عزيز عدمان "سورة الفرقان دراسة أسلوبية" وهي دراسة قيمة، بذل الباحث فيها جهوداً كبيرة حيث درس السورة من جانبها الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي، ومن حيث بناؤها العام، واستعان في دراسته بالمنهج الوصفي التحليلي والإحصائي.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن الدراسات القيمة أيضاً "النظم القرآني في سورة البقرة" لحسين الدراويش حيث حاول الباحث أن يجلي وجه الإعجاز البلاغي ويظهره على حقيقته في سورة البقرة، مستفيداً من جهود الجرجاني.

ومن هذه الدراسات أيضاً، رسالتان جامعيتان هما "ظواهر أسلوبية في سورة النحل" لأسامة عثمان، و "النظم القرآني في سورة يوسف عليه السلام" لجمال رفيق.

نلاحظ من الدراسات السابقة أنها درست سوراً من القرآن الكريم، غير سورة (المؤمنون) والتفاسير عرضت إلى سورة (المؤمنون) ضمن تفسير القرآن الكريم كله.

أما دراستي فهي في سورة (المؤمنون) دون غيرها، ثم استخدام المنهج الوصفي التحليلي فيها وحدها، وهذا ما لم أقف عليه ــ فيما أعلم ــ ، ولعل هذا البحث يضيف

شيئاً إلى جهود السابقين، إيماناً بأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً، وبأن القرآن الكريم بحر البلاغة، الذي لا تنتهي دُرره.

ويرتكز هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتخذ الوصف اللغوي وسيلة للكشف عن الملامح التعبيرية البارزة في النص، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي، لأنه وسيلة ناجحة لإدراك القيمة الدلالية لتكرار بعض السمات الأسلوبية في النص.

وتأتي هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة.

قدمت في التمهيد تعريفاً عاماً بالسورة الكريمة، وموضوعها، وخطوطها العريضة وفي الفصل الأول بحثت في المستوى الصوتي من حيث الأصوات والمقاطع والفواصل.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي الفصل الثاني تناولت المستوى الصرفي في السورة، وبحثت في الأسماء من حيث التنكير والتعريف والجموع، وفي الأفعال بأنواعها.

أما الفصل الثالث، فقد اشتمل على المستوى التركيبي، حيث بينت دلالة استخدام الجمل الاسمية والفعلية في السورة، وأحوال الجمل من حيث التقديم والتأخير، والتوكيد والتكرير، والذكر والحذف، والقصر، والفصل والوصل، والاستفهام، والأمر والنهي والنداء والترجي.

أما الفصل الرابع فكان المستوى البياني، وعرضت فيه التشبيه والاستعارة والكناية.

وفي الفصل الخامس، تناولت الوحدة في السورة على مستوى الآيات والسورة كاملة.

ثم ختمت الدراسة بابرز النتائج التي توصلت إليها، وبقائمة بمصادر الدراسة ومراجعها.

الفصل التمهيدي

- **تعريف بسورة (المؤمنون):**

هي سورة "المؤمنون" ويقال "سورة المؤمنين" لافتتاحها بالإخبار عنهم وقد روى النسائي عن عبد الله بن السائب قال: "**حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم الفتح، فصلى في قبل الكعبة، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره فافتتح سورة المؤمنين**"(١).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

وقد جرى على الألسن تسمية هذه السورة سورة "قد أفلح" ويسمونها ايضاً سورة الفلاح.

وهي مكية بالاتفاق، وهي السورة السادسة والسبعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة "الطور" وقبل سورة "الملك".

وآياتها (١١٧) في عد الجمهور، وعدها أهل الكوفة (١١٨)؛ فالجمهور عدوا ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ آية، وأهل الكوفة عدوا ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ**﴾ آية، وما بعدها آية. (١)

أما الخطوط العريضة للسورة؛ فيقسمها سيد قطب ــ رحمه الله ــ إلى اربعة أشواط.

يبدأ الشوط الأول بتقرير الفلاح للمؤمنين، ويبين صفات المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح، ويثني بدلائل الإيمان في الأنفس والآفاق.

---

(١) رواه النسائي، سنن النسائي ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٧٤، والحديث صححه الألباني.

(٢) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٩، ج ١٨، ص ٥، ٦.

أما الشوط الثاني، فيعرض حقيقة الإيمان، حقيقته الواحدة، التي توافق عليها الرسل دون استثناء ﴿ **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾.

والشوط الثالث يتحدث عن تفرق الناس ــ بعد الرسل ــ وتنازعهم حول تلك الحقيقة الوحيدة التي جاؤوا بها.

والشوط الأخير: يدعهم وشركهم وزعمهم، ويتوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ أن يدفع السيئة بالتي هي أحسن، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فلا يغضب ولا يضيق صدره بما يقولون، إلى جوار هذا مشهد من مشاهد القيامة يصور ما ينتظرهم هناك من عذاب ومهانة وتأنيب. (١)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأقول: إن للقرآن الكريم طريقته الخاصة في عرض موضوعه، تختلف عن طريقة الكتب التي يؤلفها البشر؛ فكل كتاب يؤلفه صاحبه، يعالج موضوعاً محدداً، ويخاطب طبقة محددة، أما القرآن الكريم فهو كتاب حياة، ينظم كل شؤونها، ويخاطب كل الناس على اختلاف أمكنتهم وأزمانهم، كما أنه يخاطب الإنسان من كل جوانبه، يخاطب روحه وعقله ووجدانه، لذا جاء أسلوبه متميزاً متفرداً. يقول محمد قطب:

"إن القرآن (على الطبيعة) ليس كذلك التقسيم العقلي المعنون الذي قدمناه في اول الكتاب، وقلنا مراراً إننا نصنعه لضرورة البحث ... وإنما هو كيان حي مترابط، حيويته في نسقه الخاص، الذي يمتزج فيه البشير بالنذير، بمشاهد القيامة، بالحياة الدنيا، بمشاهد الكون، بصفات الألوهية والربوبية، بأحوال المؤمنين والمكذبين .... الخ وان القرآن ينبغي

(1) ينظر سيد قطب في ظلال القرآن، ط١٧، ٦م، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ١٩٩٢م، م٤، ص ٢٤٥٢-٢٤٥٣.

أن يقرأ هكذا (على الطبيعة) ليعطي تأثيره الحقيقي. وإن كنا نحتاج بين الحين والحين ــ لضرورة البحث والتوضيح ــ أن نضع التقاسيم ونصنع العناوين!". [١]

- **موضوع سورة (المؤمنون) وخطوطها العريضة:**

حاد كثير من المفسرين عن بيان غرض سورة (المؤمنون)، أو موضوعها وما يحمل من أفكار ومحاور، غير أن صاحب التحرير والتنوير عني بهذا الأمر. حيث يقول: "هذه السورة تدور آيها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك، ونقض قواعده والتنويه بالإيمان وشرائعه"[٢] وهذا كلام عام ينبطق على هذه السورة الكريمة وعلى القرآن كله.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وممن عني به ايضاً، سيد قطب؛ حيث يقول: "فهي سورة (المؤمنون) أو هي سورة الإيمان، بكل قضاياه ودلائله وصفاته، وهو موضوع السورة ومحورها الأصل".[٣]

أما القاسمي فيقول: "سميت بهم لاشتمالها على جلائل أوصافهم ونتائجها".[٤]

وربما كان أكثر العلماء دقة في تحديد موضوع السورة، البقاعي وسعيد حوى ومحمد الغزالي وجعفر شرف الدين؛ حيث يقول الأول: "مقصودها اختصاص المؤمنين

---

(1) محمد قطب، دراسات قرآنية، ط٦، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٤٤.

(2) ابن عاشور، التحرير ...، م٩، ج١٨، ص ٦.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، م٤، ص ٢٤٥٣.

(4) القاسمي، محاسن التأويل، ط١، ٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤، م٥، ص ٢٢٥.

بالفلاح".[١] أما الثاني فيرى "أن السورة كلها تصب مصباً واحداً، الفلاح للمؤمنين، الخسار للكافرين".[٢]

وأما الغزالي فيقول "وقد نزلت سورة المؤمنين، لتعلق الأبصار بالآخرة، وتطمئن المؤمنين إلى مستقبلهم الطيب، أما الكافرون فالويل لهم".[٣]

وأما جعفر شرف الدين فيقول "الغرض من هذه السورة، بيان الشروط التي يفلح المؤمنون بها، ويُنصرون على أعدائهم".[٤]

ويمكن أن نجمل موضوع السورة الكريمة في كلمات هي:

"**منهاج فلاح المؤمنين، وطريق خسران الكافرين**"

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والذي جعلني أرجح أن هذا هو موضوع السورة، عدة اعتبارات، منها أن السورة بدأت بذلك ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**[١]﴾ وختمت بـــ (... **إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**[١١٧] **وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**[١١٨]﴾ وهو دعاء لو تحقق فقد تحقق الفلاح، وفيما بين البَدْءِ والختام نقرأ قوله تعالى ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**[١٠٢]﴾ ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**[١٠٣] ﴾ ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**[١١١]﴾.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، ٨م، دار الكتب العلمية، ج٥، ص ١٨٢.

(2) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط١، ١١م، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٥م، مجلد (٧)، ص ٣٦٦٩.

(3) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٦٧.

(4) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، ط١، ١٢م، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ١٩٩٩م، م٦، ص ٤٢

ومن هذه الاعتبارات أن مشتقات (أفلح) تكررت في القرآن (٤٠) مرة، و (٣) منها في سورة (المؤمنون) وهي نسبة كبيرة مقارنة بعدد سور القرآن الكريم.

أضف إلى ذلك ان السورة الكريمة عرضت مقاييس الفلاح عند الكافرين، وفندتها في أكثر من موضع، وبينت مقاييس الفلاح الحقيقية عند الله ــ جل وعلا ــ وسنقف مع هذه المواضع في حينها، إن شاء الله تعالى.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الأول: المستوى الصوتي

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أولاً: الإيقاع في مستوى الأصوات

ثانياً: المقاطع الصوتية

ثالثاً: الفاصلة القرآنية

رابعاً: إيقاع المعاني المفردة

المستوى الصوتي

تعد الدراسة الصوتية عاملاً مهماً في دراسة اللغة في مستوياتها الصرفية والنحوية والدلالية، فلا يمكن أن يدرس الصرف دراسة صحيحة إلا بالاعتماد على الوصف الصوتي. وكذلك النحو فهو مبني على علم الأصوات؛ فمثلاً في حالات كثيرة يقوم الجانب الصوتي بالتفريق بين الجملة الإثباتية، والجملة الاستفهامية، وذلك بالاعتماد على التنغيم، أو التلوين الموسيقي؛ إذاً تعد الدراسة الصوتية مرتكزاً مهماً في تحليل أي نص من النصوص.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وإن "إستقراء ملامح الظاهرة الصوتية في التراث العربي الإسلامي، يوصلنا إلى أن القرآن الكريم هو المنطلق الأساسي فيها، وأنه قد نبّه بتأكيد بالغ على مهمة الصوت اللغوي في إثارة الإحساس الوجداني عند العرب، وإيقاظ الضمائر الإنسانية للتوجه نحوه، لدى استعماله الحروف الهجائية المقطعة في جمهرة من فواتح السور القرآنية، وفي أسرار فواصل الآيات، وفي قيم الأداء القرآني، وفي الدلالة الصوتية للألفاظ في القرآن". [١]

---

(١) د. محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٧٦.

لذا فإن أخصب مجالات الدراسة التطبيقية، مجال النص القرآني، وذلك لغنى مادته الصوتية بإمكانيات تعبيرية هائلة، وإن الدراسة الصوتية تُعد مرتكزاً هاماً في إدراك جوانب الجمال في النص القرآني.

وتحاول هذه الدراسة في هذا الفصل، أن تلج في عمق التنظيمات الإيقاعية المشكلة للنص في سورة "المؤمنون". ونبدأ بالأصوات التي هي المادة المكونة لخلايا نسيج أي نص من النصوص.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أولاً: الإيقاع في مستوى الأصوات

يستند تقسيمنا لأصوات السورة الكريمة إلى تقسيم اللغويين المحدثين، ويندرج عملنا في تحديد النظام الصوتي للسورة في رصد الأصوات المكررة، وعدد تكراراتها، وخصائص استعمالاتها.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد توزع ورود الأصوات في سورة (المؤمنون) حسب الجداول التالية[١]:

١. الصوت الانفجاري:

الصوت	عدد مرات تواتره
الهمزة (ء)	٢٤٩
الباء (ب)	١٨٨
التاء (ت)	١٥٦
الجيم (ج)	٤٠
الدال (د)	٥٩
الضاد (ض)	١٩

(١) هناك اختلاف يسير بين الباحثين، في اعتماد هذه الحروف.
وقد اعتمدت في ترتيب هذه الأصوات على الكتب التالية:
١. ابراهيم أنيس (الأصوات اللغوية) ص ٤٩-٢٤، ص ٤٨، ص ٩٠.
٢. كمال بشر (الأصوات العربية) ص ١٠٠-١٠١، ١١٨.
٣. محمد جواد النوري (علم أصوات العربية) ص ١٦٨.
٤. عبد القادر عبد الجليل (الأصوات اللغوية) ص ١٤٢، ١٩٦.
وقد اعتمدت في عد الحروف على الجانب اللفظي السمعي لا الكتابي، فالنون مثلاً في (أن يتفضل) تعد في الإحصاء ياءً لا نوناً.

الطاء (ط)	١٥
القاف (ق)	١١٤
الكاف (ك)	١٣٤
المجموع	٩٧٤

٢. الصوت الاحتكاكي

الصوت	عدد مرات تواتره
الثاء (ث)	٣١
الحاء (ح)	٦٠
الخاء (خ)	٤٩
الذال (ذ)	٧٢
الزاي (ز)	١٨
السين (س)	٦٦
الشين (ش)	٢٩
الصاد (ص)	٢٠
الظاء (ظ)	١٣
العين (ع)	١١٤
الغين (غ)	١٧
الفاء (ف)	١٣٥

٣. الصوت المهموس

الصوت	عدد مرات تواتره
التاء (ت)	١٥٦
الثاء (ث)	٣١
الحاء (ح)	٦٠
الخاء (خ)	٤٩
السين (س)	٦٦
الشين (ش)	٢٩
الصاد (ص)	٢٠
الطاء (ط)	١٥
الفاء (ف)	١٣٥
القاف (ق)	١١٤
الكاف (ك)	١٣٤
الهاء (هـ)	٢٠٣

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الهاء (هـــ)	٢٠٣
المجموع	٨٢٧

المجموع	١٠١٢

٤. الصوت المجهور

الصوت	عدد مرات تواتره
الباء (ب)	١٨٨
الجيم (ج)	٤٠
الدال (د)	٥٩
الذال (ذ)	٧٢
الراء (ر)	١٨٣
الزاي (ز)	١٨
الضاد (ض)	١٩
الظاء (ظ)	١٣
العين (ع)	١١٤
الغين (غ)	١٧

٥. الصوت المفخم

الصوت	عدد مرات تواتره
الخاء (خ)	٤٩
الراء (ر)	١٤٣
الصاد (ص)	٢٠
الضاد (ض)	١٩
الطاء (ط)	١٥
الظاء (ظ)	١٣
الغين (غ)	١٧
القاف (ق)	١٠٤
اللام (ل)	٩ (لام الجلالة)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

اللام (ل)	٤٥٣
الميم (م)	٤١١
النون (ن)	٤٧٤
المجموع	٢٢٦١

المجموع	٣٨٩

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

عند تأملنا في الجداول السابقة، نستطيع أن نستخلص منها الحقائق التالية:-

١. لقد بلغ عدد الأصوات الانفجارية في الجدول الأول (٩٧٤) صوتاً، وهي كمية صوتية كبيرة تستدعي جهداً صوتياً عالياً، ونفساً طويلاً لنطقها؛ حيث إن الصفة التي تجمع بين الأصوات الانفجارية هي "انحباس الهواء معها عند مخرج كل منها انحباساً لا يسمح بمروره حتى ينفصل العضوان فجأة ويحدث النفس صوتاً انفجارياً". (١)

وما يبرر هذا التواتر الكبير للأصوات الانفجارية، طبيعة السورة الكريمة، التي تجلى فيها الجدل والحزم في محاورة الأقوام لأنبيائهم، والجدية التي تحلت بها الفئة المؤمنة الرائدة التي حملت على أكتافها دعوة الأنبياء على مدار التاريخ، ويتفق هذا التواتر مع الحجة الدافعة التي قذفت بها وجوه الكافرين المعاندين.

---

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط٥، مكتبة الأنجاد المصرية، ١٩٧٩، ص ٢٣.

٢. يبين الجدول السابق أن صوت الهمزة طغى على بقية الأصوات الانفجارية، حيث بلغ تواتره نحو (٢٤٩) مرة، وهي كمية كبيرة، مقارنة مع غيره من الأصوات الانفجارية. ولعل ذلك يتفق مع سياق الجدل والعناد الذي اتصف به الكفار، ويتسق مع جو المشقة التي عانتها الفئة المؤمنة الرائدة، فالهمزة أشق الأصوات؛ لأن مخرجها ينتج من انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً، ثم انفراج المزمار فجأة، وهي عملية تحتاج إلى جهد عضلي يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر. [١]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

٣. يشير الجدول الثاني إلى أن عدد الأصوات الاحتكاكية بلغ (٨٢٧) صوتاً بفارق (١٤٧) صوتاً عن الأصوات الانفجارية. و"تتكون الأصوات الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً".[٢]

ونلحظ تقارباً من حيث العدد بين الأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية، وهذا يشكل اتساقاً موسيقياً؛ حيث تتداخل الحروف الانفجارية والاحتكاكية وتتلاصق لتشكل اتساقاً موسيقياً بين الحروف.

وكانت (الهاء) من أكثر الحروف الاحتكاكية وروداً (٢٠٣) مرات، ولعلّ ذلك عائد إلى أن النطق بالهاء يتطلب اندفاع كمية كبيرة من الهواء، أكبر مما يندفع مع الأصوات

---

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص (٩٠).

(2) كمال محمد بشير، الأصوات العربية، مكتبة الشباب، مصر، ص ١١٨.

الأخرى[١]. كما أن مخرج الهاء من أقصى الحلق، وهذه الصعوبة (النسبية) في نطق الحرف تتفق مع جو السورة، الذي تُحدث عنه سابقاً.

٤. طغت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة طغياناً بارزاً، حيث تواترت الأصوات المجهورة (٢٢٦١) مرة، بينما لا تتجاوز عدد الأصوات المهموسة (١٠١٢) مرة ولعلّ هذا التفاوت راجع إلى ما يطلبه مقام الدعوة والمقارعة والاستدلال من شدة وجهر، فضلاً عن تحقيق الجانب الموسيقي فيه حيث يقول الدكتور إبراهيم أنيس "فالكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل كلام مجهورة، ومن الطبيعي أن تكون كذلك، وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص".[٢]

مكتبة الجامعة الإردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٥. كانت حروف النون واللام والميم من أكثر الحروف تواتراً في السورة الكريمة، إذ بلغ تواتر النون (٤٧٤) مرة، واللام (٤٥٣) مرة، والميم (٤١١) مرة، وهي نسب كبيرة لم يصل إليها باقي الحروف.

وتعليل ذلك راجع إلى ما يقوله الدكتور إبراهيم أنيس من "أن المحدثين لاحظوا أن اللام والنون والميم، أصوات عالية النسبة في الوضوح السمعي، وتكاد تشبه أصوات اللين في هذه الصفة، مما جعلهم يسمونها أشباه أصوات اللين"[١]. أضف إلى ذلك أن النون والميم حرفان يتفقان بمصاحبة المغنة المحببة إلى الأذن. وكانت النون أكثر تواتراً؛ لأنها أكثر اتصافاً بالغنة من الميم، وأكثر إطراباً منها. وإن توالي هذه الأحرف الثلاثة وتداخلها ليحدث انسجاماً موسيقياً مطرباً، ولنأخذ مثلاً تواتر الأحرف الثلاثة في الآيتين الكريمتين

---

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٨٨-٨٩.

(2) المرجع ذاته، ص ٢١.

التاليتين، ولنتأمل الانسجام الموسيقي الذي يحصل بهذا التداخل ﴿**وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**[٦٢] **بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ**[٦٣]﴾

وإضافة إلى الجانب الموسيقي، فإن الغنة المصاحبة للنون والميم، تجعل القارئ يتأنى في قراءة الآية مما يسهل عليه تدبر الآيات التي يقرؤها كما أنها تسهم كثيراً في تصور المعاني، ويتجلى ذلك في الآية الكريمة التالية:

﴿ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**[٤]﴾ .

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في هذا الآية الكريمة تكرر حرف النون مع التنوين (١٥) مرة، وتكرر اللام (١٤) مرة، أما الميم فتكررت (٩) مرات، وهذا التكرار والتداخل يحدث انسجاماً موسيقياً مطرباً في الآية الكريمة.

٦. والنظر في الجدول الخامس، المتضمن للأصوات المفخمة، يشير إلى أن حرف الراء يحتل المرتبة الأولى، إذ تواتر مفخماً (١٤٣) مرة، ويليه حرف القاف (١٠٤) مرات ثم الخاء (٤٩) مرة، أما الصاد والضاد والظاء والطاء والغين فقد كانت قليلة التواتر. وهذه الأرقام لهذه الحروف تتفق مع درجة شيوعها في اللغة كما بين الدكتور محمد علي الخولي، عندما قام بإحصاء الحروف في جذور معجم لسان العرب لابن منظور. (٢)

وكان من أكثر الآيات تكراراً لحرف الراء، الآية الكريمة التالية:

---

(1) المرجع ذاته، ص ١٦٠.

(2) انظر محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ص ١٤٨-١٤٩.

﴿**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**[٧٢]﴾؛ حيث تكرر ست مرات، وتكرر فيها حرف الخاء (وهو أيضاً من الحروف المفخمة) (٤) مرات ولعلنا نلمح في تكرار هذين الحرفين المفخمين إيحاءً بتفخيم العطاء الإلهي ﴿ **فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ ، كما أنه لا يخفى على الأذن الجمال الإيقاعي، الناتج عن توالي هذين الحرفين وتعاقبهما.

وأحياناً تتداخل مجموعة من الأحرف المفخمة لتضفي على الآية جواً من التعظيم، كما في آية خلق الإنسان التي ذكرناها سابقاً، وكما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ** [١٧] ، حيث تتتابع فيها الحروف المفخمة التالية (ق، خ، ق، ق، ط، را، ق، خ، ق، غا) مشعرةً بجو العظمة في الآية الكريمة، ومثلها أيضاً قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** [٤١]﴾ .

- **نسق الأصوات وانتظامها:**

"إن النص القرآني في استخدامه لبعض الأصوات وتكرارها، يقصد إلى تصوير بعض المواقف الإنسانية وتشخيصها تشخيصاً، يشعرنا بما تحمله هذه الأصوات من

طاقات نغمية وشحنات إيقاعية، بمقدورها إضفاء بعض الأجواء النفسية المؤثرة والظلال الموحية على المعنى".[١]

ولنأخذ مثلاً على ذلك الآية رقم (١٤) التي ذكرناها سابقاً، عند التأمل في هذه الآية الكريمة نجد تواتراً ملحوظاً لأحرف التفخيم وفق النسق لتالي:-

خ، ق، ط، ق، خ، ق، ق، ض، غ، ظ، ظا، ظا، خ، ق، خ، رَ، رَ، لام الجلالة مع الألف التي بعدها، خا، ق) وهي نسبة كبيرة مقارنة باستخدام حروف التفخيم في لغة العرب، وهذا التواتر الكبير لأحرف التفخيم، يتفق مع جو التفخيم الذي توحي به الآية الكريمة الدالة على عظمة المبدع الخالق العظيم.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونلمح في الآية الكريمة تكراراً لحرف الفاء، والفاء "صامت، رئوي، مستخرج، فموي، أسناني، شفوي، احتكاكي، مهموس"[١]. ولعله يشير بكونه مرققاً احتكاكياً مهموساً إلى الدقة في الصنعة الإلهية، في المراحل الأولى الدقيقة في حياة الإنسان، إلى جانب وظيفة (الفاء) الأساسية في الربط والتعاقب، كما أن حرف اللام المجهور المفخم، بتواتره الكبير في الآية (٩ مرات) ساهم في الإيقاع الموسيقي، من حيث تجاور الأصوات المهموسة والمجهورة، كما كان لكثرة تواتر (نا) المتكلمين في الآية إيحاء بعظمة الصانع سبحانه، عن طريق التغني بالنون والمد.

وفي الآية الكريمة ﴿**حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**[٧٧] ، تكرر حرف الذال (٤) مرات، وهذا التواتر لم يحصل في آيات السورة إلا مرتين، هنا وفي قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ** [٦٤] ، وكلتا

(1) عزيز عدمان، (سورة الفرقان، دراسة أسلوبية) رسالة جامعية جامعة الجزائر، ١٩٩٤، ص ٥٨.

الآيتين تحدثان عن العذاب، الذي فيه حرف الذال، مع أنه حرف رخو، وفي قوله تعالى ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** [١٨] **فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** [١٩] **وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ**[٢٠] **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**[٢١] **وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**[٢٢]﴾ .

نجد في الآيات تكراراً ملحوظاً لحرفي الكاف والنون (مع ملاحظة أن التنوين يلفظ نوناً)، ومن الواضح أن الآيات السابقة تتحدث عن نعمة هامة وهي (الأكل)، وحرف الكاف فيها بارز، كما أنه (الكاف) بارز في كلمة (لكم) التي تشير إلى تكريم بني آدم وقد تكررت (لكم) أربع مرات. ولا يخفى أن تكرار الكاف والنون (المغناة) يحدث إيقاعاً في الآيات تطرب له الآذان. كما أن في تكرار (نا) العظمة في الآيتين (١٨) و (١٩) إشعاراً بعظمة المنعم سبحانه.

وقُصارى القول أن تكرار الصوت المفرد في سورة (المؤمنون) بل في سور القرآن الكريم كلها، وسيلة يستخدمها القرآن الكريم، تمشياً مع متطلبات الموقف المراد تجسيمه وتصويره، ويبقى هذا الموضوع ممّا يتطلب جهوداً تكتنه أسراره وتبرز لنا خفاياه وجواهره.

---

(1) محمد جواد النوري، فصول في علم الأصوات، ط١، مطبعة النصر التجارية، نابلس ١٩٩٣، ص ٢٤٠.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: المقاطع الصوتية

"إن دراسة الأنظمة المقطعية العربية تعد بحق، من المباحث المجددة في ميدان الدرس اللساني الصوتي والصرفي، وقد أثمرت نتائج وجهت الجوانب التحليلية والتحويلية والتوليدية للغة صوب منظورات جديدة ... والمقطع في أبسط صورة، تتابع فونيمي في لغة ما، وقد برز اتجاهان في تعريفه [أي المقطع] والوقوف على حدوده: اتجاه صوتي

وآخر وظيفي. يعرف الاتجاه الصوتي المقطع بأنه: تتابع من الأصوات في تيار الكلام، له حد أعلى أو قمة إسماع تقع بين حدين أدنيين من الأسماع ...

أما الاتجاه الوظيفي فيعرف المقطع بأنه: وحدة ذات صفات وخصائص متميزة في كل لغة إن أفضل تعريف للمقطع، ذاك الذي قال به العالم اللغوي دي سوسير: الوحدة الأساسية التي يظهر بداخلها نشاط الفونيم الوظيفي"[١].

ويُعد المقطع الصوتي من الوسائل الصوتية المتميزة، التي يرتكز عليها النص القرآني لإيجاد الاسنجام الصوتي بين الآيات، كما أن القرآن الكريم يستخدم المقاطع الصوتية استخداماً فنياً، قائماً على توزيع المقاطع وترتيبها على نسق تحار فيه الألباب.

ولعلّ دراسة هذه السورة الكريمة تحاول أن تقف على بعض أسرار المقاطع الصوتية في القرآن الكريم في الجانب الصوتي والجانب الدلالي.

وعملي في هذا الفصل يقتصر على إحصاء المقاطع الصوتية في كل آية، والوقوف على الجانب الصوتي والدلالي.

ويمكن تلخيص بنية المقاطع الصوتية في اللغة العربية ــ كما يذكر الدكتور تمام حسان[٢]ــ على النحو التالي:

١. المقطع القصير: وهو صوت متحرك، وليس بعد حركته صوت ساكن، مثل المقاطع الثلاثة في لفظ ضَرَبَ (ضَ ــ رَ ــ بَ) ويرمز لهذا المقطع بالرمز (ص ح).

---

(1) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ط١، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص ٢١٣/٢١٥/٢١٧.

(2) يُنظر تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣؛ ٢٦٠-٢٦١.

٢. المتوسط المقفل: وهو صوت متحرك بعد حركته صوت ساكن، ومثال ذلك (لَمْ) ويرمز له بالرمز (ص ح ص).

٣. المتوسط المفتوح: وهو صوت صحيح يتلوه مد، وليس بعد المد سكون (وا ــ فا ــ ني). ويرمز له بالرمز (ص م).

٤. طويل المد: وهو صوت يتلوه المد، وبعد المد سكون، كما في ضالِّين (ضالْ ــ لين) ويرمز له بالرمز (ص م ص).

٥. طويل التسكين: وهو صوت متحرك وبعد الحركة صوتان ساكنان، كما في الوقف علي (قَبْلْ) و (بَعْدْ) ويرمز له بالرمز (ص ح ص ص).

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٦. مقطع الوقف: وهو صوت يتلوه مد وبعد المد صوتان ساكنان، ولا يرد هذا المقطع إلا عند الوقف على ألفاظ مثل (حاجْ) (تامْ) (خاصْ) ويرمز له بالرمز (ص م ص ص).

٧. ويمكن أن نضيف إلى هذه المقاطع مقطعاً فرعياً يستخدم لأغراض التجويد، يسميه الدكتور إسماعيل عمايرة (المقطع المديد) [1]؛ وهو الذي يُطلق عليه في علم التجويد (المد الفرعي) وهو "إطالة الصوت بحرف من حروف المد، زيادة على المد الطبيعي، ويتوقف وجوده على سبب من همز أو سكون".[1]

وهذه قائمة بعدد المقاطع في كل آية من آيات سورة (المؤمنون)، مع حذف مقطع (طويل التسكين) ومقطع (الوقف) لعدم ورودهما في السورة؛ علماً بأن الخانة الأولى هي رقم الآية، والخانات الأخرى هي عدد تكرار كل مقطع من المقاطع الخمسة:

---

(1) من (محاضرة المقاطع الصوتية في القرآن الكريم) ألقيت في جمعية الحديث الشريف في يوم الاثنين، الموافق ٢٠٠٢/٤/٢٩م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

رقم الآية	قصير	متوسط مقفل	متوسط مفتوح	طويل المد	مديد	المجموع
١	٢	٤		١		٧
٢	٥	٣	٤	١		١٣
٣	٥	٥	١	١		١٢

(1) أحمد خالد شكري وآخرون (المنير في أحكام التجويد)، ط٤، المطابع المركزية، عمان، ص ٧٠.

٤	٥	٣	٣	١		١٢
٥	٦	٣	٣	١		١٣
٦	٩	١٠	٥	١	١	٢٦
٧	١٢	٢	٣	١	٢	٢٠
٨	٧	٥	٤	١		١٧
٩	٨	٣	٤	١		١٦
١٠	٥	١	١	١	١	٩
١١	٦	٥	٥	١		١٧
١٢	٦	٧	٢	١		١٦
١٣	٦	٥	٣	١		١٥
١٤	٣٣	٢٥	٧	١		٦٦
١٥	٧	٥				١٤
١٦	٦	٦				١٤
١٧	١٢	٩	٣		١	٢٦
١٨	١٦	١٢	٦	١	٢	٣٧
١٩	١٣	١٣	١٠	١		٣٧
٢٠	١٣	١٠	٢	١	١	٢٧
٢١	١٧	١٣	١١	١		٤٢
٢٢	٦	٤	١	١		١٢
٢٣	١٤	١٤	٩	١	١	٣٩
٢٤	٢٩	٢١	١٤	١	٥	٦٠
٢٥	١٠	٧	٥	١		٢٣

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

رقم الآية	قصير	متوسط مقفل	متوسط مفتوح	طويل المد	مديد	المجموع
٢٦	٣	٦	١	١		١١
٢٧	٣٤	٣٣	١٣	١	٣	٨٤

٢٨	١٧	١٤	٥	١		٣٧
٢٩	٨	١١	٢	١		٢٢
٣٠	٦	٥	٥	١		١٧
٣١	٣	٨	٢	١		١٤
٣٢	١١	١٤	٦	١	١	٣٣
٣٣	٢٩	٢٥	١٣	١	٢	٧٠
٣٤	١٠	٩	١	١		٢١
٣٥	١٢	١٢	٣	١		٢٨
٣٦	٤	٢	٤	١		١١
٣٧	١٠	٧	٧	١		٢٥
٣٨	١٥	٧	٥	١		٢٨
٣٩	٣	٤	٣	١		١٠
٤٠	٦	٥	٣	١		١٥
٤١	١٢	١٣	٢	١	١	٢٩
٤٢	٤	٧	٣	١		١٥
٤٣	٨	٦	٣	١		١٨
٤٤	٢٠	٢١	١٢	١	١	٥٥
٤٥	٩	٥	١٠	١		٢٥
٤٦	٨	٦	٥	١		٢٠
٤٧	١٤	٦	٤	١		٢٥
٤٨	٦	٣	٤	١		١٤
٤٩	٧	٦	٤	١		١٨
٥٠	١٦	٩	٦	١	٢	٣٤

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

رقم الآية	قصير	متوسط مقفل	متوسط مفتوح	طويل المد	مديد	المجموع
٥١	١٤	٨	٧	١	١	٣١
٥٢	١٣	٩	٢	١	١	٢٦
٥٣	١٢	١٠	٢	١	١	٢٦
٥٤	٣	٥	٢	١		١١
٥٥	٩	٦	٤	١		٢٠
٥٦	٦	٥	٣	١		١٥
٥٧	٦	٨	١	١		١٦
٥٨	٦	٥	٣	١		١٥
٥٩	٥	٦	١	١		١٣
٦٠	١٣	٩	٦	١	١	٣٠
٦١	١٠	٣	٥	١	١	٢٠
٦٢	١٣	١٢	٦	١		٣٢
٦٣	١٠	١٠	٩	١		٣٠
٦٤	٧	٧	٤	١	٢	٢١
٦٥	٤	٧	٣	١		١٥
٦٦	٥	١٠	٦	١	١	٢٣
٦٧	٥	٥	٣	١		١٤
٦٨	٩	١١	٢	١	٢	٢٥
٦٩	٦	٦	٣	١		١٦
٧٠	١١	١١	٤	١	١	٢٨
٧١	٢٠	٢٠	٤	١	١	٤٦
٧٢	١١	١٠	٢	١		٢٤
٧٣	٧	٥	٣	١		١٦
٧٤	١٣	٥	٦	١		٢٥
٧٥	٨	١٢	٦	١		٢٧

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز الايداع الرسائل الجامعية

رقم الآية	قصير	متوسط مقفل	متوسط مفتوح	طويل المد	مديد	المجموع
٧٦	١٣	٨	٥	١		٢٧
٧٧	٨	٩	٨	١	١	٢٧
٧٨	١٤	١٠	٣	١	١	٢٩
٧٩	١١	٦	١	١		١٩
٨٠	١٥	٧	٦	١		٢٩
٨١	٢	٤	٤	١		١١
٨٢	٨	٦	٨	١	١	٢٤
٨٣	٨	٩	٨	١	٣	٢٩
٨٤	٥	٨	١	١	١	١٦
٨٥	٧	٣	٣	١		١٤
٨٦	٤	١٠	٢	١		١٧
٨٧	٦	٣	٣	٢		١٤
٨٨	١٨	١١	٤	١		٣٤
٨٩	٦	٤	٤	١		١٥
٩٠	٥	٨	٢	١		١٦
٩١	٣٠	١٥	١٢	١		٥٨
٩٢	٨	٥	٥	١		١٩
٩٣	٤	٤	٤	١		١٣
٩٤	٣	٦	٣	١		١٣
٩٥	٩	٣	٣	١	١	١٧
٩٦	١٣	٨	٢	١		٢٤
٩٧	٩	٤	٣	١		١٧
٩٨	٧	٣	١	١		١٢
٩٩	٩	٥	٢	١	٢	١٩
١٠٠	٢١	١٣	٦	١	٤	٤٥

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

رقم الآية	قصير	متوسط مقفل	متوسط مفتوح	طويل المد	مديد	المجموع
١٠١	١٥	٦	٦	١		٢٨
١٠٢	١١	٤	٣	١	١	٢٠
١٠٣	١٦	٧	٦	١	٢	٣٢
١٠٤	٨	٣	٥	١		١٧
١٠٥	٧	٨	٥	١		٢١
١٠٦	٧	٨	٥	١	١	٢٢
١٠٧	٤	٧	٥	١	١	١٨
١٠٨	٣	٣	٥	١		١٢
١٠٩	١١	١٢	١٢		١	٣٧
١١٠	٤	١٥	٣	١	١	٢٤
١١١	١٠	٧	٢	١	٢	٢٢
١١٢	٧	٥	١	١		١٤
١١٣	٣	٩	٣	١	١	١٧
١١٤	٥	١١	٣	١		٢٠
١١٥	١١	١٠	٤	١		٢٦
١١٦	١٠	٨	٤	١	١	٢٤
١١٧	١٩	١١	١٤	١		٤٥
١١٨	٤	٩	١	١		١٥
المجموع	١١٥٧	٩٥٩	٥٢١	١١٩	٦١	٢٨١٧

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **المقاطع والدلالة:**

في هذه الجداول، نلحظ غلبة المقاطع المغلقة على المقاطع المفتوحة حيث تواترت المقاطع المتوسطة المغلقة (٩٥٩) مرة، في مقابل _٥٢١) مرة للمتوسطة المفتوحة؛ ولعل ذلك التفوق عائد إلى ما اتسمت به السورة الكريمة من جد وحزم في مخاطبة الكفار من زمن نوح إلى محمد ﷺ.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي الآيات التي تتسم ببرزو المقاطع المغلقة بروزاً واضحاً، نلمح جداً وحزماً بازرين، أما الآيات التي تتسم ببروز المقاطع المفتوحة على المغلقة فإننا نلمح تحسراً أو يأساً أو خشوعاً أو رحمة. (١)

ولنضرب أولاً أمثلة على المقاطع المغلقة لنرى مدى صحة هذا الاستنتاج:

يقول تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**[٤١]﴾

تتكون هذه الآية الكريمة من المقاطع التالية: ف ــ أ ــ خ ــ ذَتْ ــ هُــ ــ مُصْ ــ صَيْ ، ح ، ــةُ ــ بِلْ ــ حَقْ ــ قِ ــ فَ ــ جَ ــ عَلْ ــ نا ــ هم ــ غُ ــ ثا ــ أَنْ ــ فَ ــ بُعْ ــ دَنْ ــ لِلْ ــ قَوْ ــ مِظ ــ ظا ــ لِ ــ مينْ.

---

(1) تتفق هذه النتيجة مع ما وصل إليه الدكتور محمود أحمد نحلة في كتابه دراسات قرآنية في جزء عم، دار المعرفة، اسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٠٩-١١٣.

تتكون هذه الآية من (١٣) مقطعاً مغلقاً، مقابل (٣) مقاطع مفتوحة، و (١٢) مقطعاً قصيراً، وهذا العدد الكبير من المقاطع المغلقة مقارنة بالمفتوحة، هو خير تعبير عن العذاب الصارم الذي نزل بالقوم الكافرين المكذبين، لأن المقاطع المقفلة تناسب الجد والحزم والسرعة، بعكس المفتوحة المنتهية بمد، التي تزيد الموقف طولاً وتزيد أثره عمقاً، وتتفق مع جو الندم والحسرة والأسف والأسى.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**[٧١]﴾ .

تواترت المقاطع المغلقة فيها (٢٠) مرة، مقابل (٥) مرات من المقاطع المفتوحة ولعل الناظر في الآية لا يجد صعوبة في إدراك جو الحزم الذي تصدح به الآية الكريمة.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونلحظ في الآية الأولى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ خلوها من المقاطع المفتوحة، وتكرر المقاطع المغلقة (٤) مرات، التي تعبر عن جو الحزم، بالتأكيد على أن الفلاح للمؤمنين لا لغيرهم.

بينما في الآية الثانية ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ نرى المقاطع المفتوحة تتفوق على المقاطع المغلقة لأنها تتحدث عن الخشوع، الذي يناسبه المقاطع المفتوحة.

أما في الآية الثالثة ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ فجوها جو الجد والإعراض عن اللغو، فناسب ذلك كثرة المقاطع المغلقة (٥) مغلقة و (١) مفتوحة.

أما الآية الرابعة فيتساوى عدد المقاطع المغلقة وعدد المقاطع المفتوحة، ولعل ذلك يعود ــ فيما أرى ــ إلى أن في الزكاة جانبين: جانب جد في إجبار النفس على الإنفاق، وجانب رحمة في إعطائها للمحتاج.

ومن الآيات التي تفوقت فيها المقاطع المفتوحة على المقاطع المغلقة، قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**[٤٥]﴾. حيث تكررت المقاطع المفتوحة (١٠) مرات، في مقابل (٥) مرات للمقاطع المغلقة، ولعل ذلك تعبير عن الرحمة الإلهية في إرسال الرسل إلى الناس.

وقد تكثر المقاطع المفتوحة ــ بما فيها من مد ــ لتعبر عن التيئيس والتبعيد ، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**)[٨٢]﴾؛ حيث تكررت المقاطع المفتوحة (٩) مرات، في مقابل (٦) مرات للمغلقة.

وأحياناً تعبر المقاطع عن التحسر والندم، كما في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**[١٠٧] **قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**[١٠٨]﴾ حيث تكررت المقاطع المفتوحة (١١) مرة، في مقابل (١٠) مرات للمغلقة.

وللقرآن مقاطعه الخاصة التي يعرفها أهل التجويد، ومنها المد الفرعي، وهو ما أسماه الدكتور إسماعيل عمايرة (المقطع المديد). وتُظهر لنا لوحة المقاطع السابقة، أن هذا المقطع (المديد) تكرر في السورة (٦١) مرة، ونلاحظ أن هذا النوع من المقاطع تكرر تكرراً مكثفاً في الآيات (٩٩-١١٤) حيث تكرر (١٦) مرة، وهي نسبة كبيرة مقارنة بغيره من مواضع السورة؛ فمثلاً في الآيات الاثنتين والعشرين الأولى ــ وهي التي تتحدث عن صفات المؤمنين وآيات الله في الخلق ــ نجد أن المقطع المديد يتكرر (٨) مرات فقط.

أما الآيات (٩٩-١١٤) فهي تتحدث عن يوم القيامة، خاصة حال الكفار فيه؛ حيث تكثر مساءلتهم ووقوفهم وتحسرهم وصراخهم؛ وهذا الموطن يناسبه كثرة المدود، بما فيها من إطالة للنفس، أضف إلى ذلك أن المد يعين القارئ على التدبر، وموقف الآخرة من المواقف الجديرة بالتدبر والتأمل؛ لأن صلاح الإنسان في هذه الدنيا مرتبط بالإمان بذلك اليوم؛ لذا أمرنا الله أن نتذكر هذا اليوم دائماً، عندما نقرأ في كل صلاة (مالك يوم الدين).

- **المقاطع من حيث الطول:**

إن معظم آيات السورة تتكون من عدد متوسط الطول من المقاطع، حيث إن (٩٣) آية من آيات السورة، تقع مقاطعها بين (١١-٣٠) مقطعاً.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن المعلوم أن قصر الآيات سمة من سمات الآيات المكية، وهي سمة تتفق مع موضوعات السور المكية التي يمكن إجمالها فيما يلي:

"١. الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية.

٢. وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً ووأد البنات وما كانوا عليه من سوء العادات.

٣. ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً لهم، حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول الله ﷺ، حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم".[١]

وهذه الموضوعات تحتاج إلى عبارات موجزة، وألفاظ قوية، وتقرع الآذان، وتصعق القلوب، وتهز أفئدة الكفار الواقفين في وجه الدعوة.

أما المقاطع الطويلة فتتناسب مع الآيات المدنية " التي تتناول أحكام الإسلام وحدوده، وتدعو إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وتفصل أصول التشريع، وتضع قواعد المجتمع، وتحدد روابط الأسرة، وصلات الأفراد، وعلاقات الدول والأمم، كما تفضح المنافقين وتكشف دخيلتهم، وتجادل أهل الكتاب وتلجم أفواههم. [٢]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأقصر الآيات طولاً في سورة المؤمنون من حيث المقاطع، الآية الأولى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ حيث تتكون من سبعة مقاطع، وكأن هذه الآية تضع قضية السورة في أوجز عبارة، حتى تكون واضحة في الأذهان، أضف إلى ذلك أن مقتضى فن الكلام أن يكون أوله موجزاً محدداً لأنه أول ما يطرق السمع، ويلقى في الذهن، وهذا فن ملحوظ في القرآن كله، ويكفي أن نتصفح أوائل السور لنرى صحة ذلك.

بل لننظر في الآيات الأولى من سورة (المؤمنون) لنرى كيف جاءت قصيرة المقاطع.

وكان من أكثر الآيات طولاً من حيث المقاطع قوله تعالى : ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ**

(1) مناع قطان، مباحث في علوم القرآن، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠م، ص ٦٣-٦٤.
(2) المرجع السابق، ص ٥٢، ٥٣.

إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ[٢٧]﴾ حيث حَوَت هذه الآية (٨٤) مقطعاً؛ ولعل في هذا التطويل تعبيراً عن طول المهلة، وكثرة الأعمال المطلوبة من نوح عليه السلام، فصناعة السفينة، وحمل المؤمنين، وإدخال زوجين من كل ما يحتاجه الناس، كل ذلك يتطلب وقتاً وجهداً، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا بد للنصر من عدة وتهيئة كاملة وأخذ بالأسباب.

ومن الآيات التي تميزت بطول المقاطع، مقارنة بآيات السورة، قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ[٢٤]﴾** وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ[٣٣]﴾** .

هذا التطويل يحمل صفات أسلوبية في:- مقولات الملأ (ما هذا إلا بشر مثلكم...).

- الجدل.
- البرهان على بشرية الرسول.

من ذلك نلخص إلى أن طول المقاطع وقصرها مرتبط بمقاصد دلالية وصوتية.

- **المقاطع والإيقاع الصوتي:**

لعلنا لاحظنا سابقاً أن ترتيب المقاطع في الكلمات القرآنية يتوالى على نسق معين ليحدث نوعاً من الموسيقى الداخلية، تتناسب والأفكار التي تعبر عنها وتصورها، وتجلى ذلك ــ فيما ذكرنا ــ في استخدام المقاطع المغلقة والمفتوحة.

وقد تبدى لي في هذه المقاطع، صور من التوازن المقطعي، لا يمكن للأن أن تخطئه، ومن هذه الصور:-

١. أن تتكرر مجموعة من المقاطع في الآية الواحدة أكثر من مرة، محدثة توازناً إيقاعياً فمن ذلك قوله ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ فلو رمزنا ــ اختصاراً ــ للمقطع القصير بالرقم (١) وللمقطع المتوسط المغلق بالرقم (٢)، وللمتوسط المفتوح بالرقم (٣) ولطويل المد بالرقم (٤) وللمديد بالرقم (٥)، لكان تقطيع الآية كما يلي: (١٢٢ ١٢٢ ٤) فهنا نلحظ أن المقاطع الثلاثة الأولى تكررت مرتين، محدثة تناسقاً مقطعياً.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**[٦]﴾ حيث نجد مقاطع الآية كالتالي (١٣٢ ٥ ١٣٢ ٢ ١٣٢ ٢١ ١٣٢ ١٢ ١٢ ٢٢ ١١ ٤٣) فنجد أن المقاطع الثلاثة الأولى تكررت أربع مرات.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**[٩]﴾ (٣١٢ ٣١٢١ ١٣١١ ٣١٢ ٤١) حيث نجد المقاطع الثلاثة الأولى (حوفِظَ) عليها في الآية ثلاث مرات. (١)

---

(1) كنت قد قرأت كلاماً لمصطفى صادق الرافعي، وسيد قطب رحمهما الله، في كتابيهما الشهيرين إعجاز القرآن والتصوير الفني في القرآن، عند قوله تعالى ﴿ **قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً**﴾[٤ مريم] ملخصه: أنه لو قدمنا كلمة (مني) على (العظم) لأحسسنا بما يشبه الكسر في الشعر؛ فأحببت أن أتعرف مقاطع هذا الجزء من الآية، فرأيت فيها توازناً مقطعياً ما كان ليتم لو قدمت كلمة (مني) على (العظم)، حيث كان تقطيع الآية كالتالي:-

(١٣ ٣٢١٢ ٣٢١٢٢١١ ٢ ٣٢١٢٢١١)

٢. وأحياناً تتوالى مقاطع من نوع واحد، ثم تتوالى مقاطع من نوع آخر بالعدد نفسه ثم تتوالى أخرى بالعدد عينه.

انظر مثلاً في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**[١١]﴾

(٣١٢ ١١١ ٣ ٢٢٢ ٢١ ٣٣٣ ٤١)

٣. وأحياناً تأتي المقاطع بأنواعها متداخلة، دون أن يتوالى مقطعان من نوع واحد مما يحدث صوتاً خلافياً تطرب له الآذان.

مثال: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**[٢]﴾

(١٢ ٢١٣ ٣١٣ ٤١٣٢)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٤. وأحياناً يكون تشابه المقاطع في بداية آيتين متتاليتين.

انظر مثلاً في قوله تعالى:

﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**[١٨] **فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**[١٩]﴾

حيث نجد المقاطع السبعة الأولى في الآية الأولى هي عينها في الثانية (١٢١٣٢٢١).

ولا يخفى على القارئ ارتباط الآيتين في المعنى ارتباطاً وثيقاً.

حيث نلحظ في الآية توازناً مقطعياً بارزاً، فقد تكررت سبعة مقاطع مرتين بنفس الترتيب (وهي التي تحتها خط)، كما أن المجموعة التي تحتها خطان، تشابهت مع الأربعة مقاطع الأخيرة في المجموعتين اللتين تحتهما خط، بينما لو قدمنا كلمة مني على العظم، أي أصبحت (قال رب إني وهن مني العظم واشتغل الرأس شيبا) لكان التقطع كالتالي: (٢١٣ ٣٢١ ١١١ ٢٢٢ ٢١ ١١ ٢٢ ٣٢١) إذاً سختل التوازن الذي رأيناه سابقاً!

ومن ذلك ايضاً ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**[١٥] **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**[١٦]﴾

حيث نجد المقاطع الستة الأولى في الآيتين واحداً (١٢ ١٢ ٢٢) وكأن هذا التشابه يوحي بأن الموت والقيامة شيء واحد، فمن مات فقد قامت قيامته.

ويمكن أن نلحظ الشيء نفسه بين الآيتين (٣٧و ٣٨) (١٣٢١١٢).

٥. وأحياناً تأتي آيتان تتفقان في عدد المقاطع لا في ترتيبها.

فمثلاً في قوله تعالى ﴿**قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ**[٩٣] **رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**[٩٤]﴾ . حيث نجد أن كل آية تتكون من (١٣) مقطعاً، وهذا يحدث توازناً ايقاعياً، ونلاحظ هنا أن الآيتين مرتبطتان ارتباطاً كبيراً ومعنوياً؛ فلا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٦. في قوله تعالى: ﴿**مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ** [٢٧]﴾ نرى سبعة مقاطع متوسطة مغلقة، تأتي متوالية دون أن يفصل بينهما مقطع من نوع آخر (٢٢٢٢٢٢٢) وهذا أكبر عدد للمقاطع المغلقة يأتي متتالياً في السورة الكريمة؛ والمقطع المتوسط المغلق ــ كما ذكرنا ــ يتكون من حرفين؛ أحدهما متحرك وثانيهما ساكن، إذا فقد ورد في هذا الجزء من الآية، (١٤) زوجاً من الحروف، والعجيب أن هذا الجزء من الآية يتحدث عن زوجين من كل نوع من أنواع الحيوانات، وفي هذا تناسق موسيقي مع المعنى؛ فعند الحديث عن الزوجية، يتكرر زوجان من الحروف سبعة مرات، دون أن يفصل بينهما مقطع قصير أو متوسط مفتوح !

وفي ختام حديثي عن المقاطع أقول: إن هذا الموضوع في القرآن الكريم بحاجة إلى جهود العلماء المختصين، لعلّ هذه الجهود تكشف جانباً من جوانب إعجاز ذلك الكتاب العظيم، الذي لا تنقضي عجائبه.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثالثاً: الفاصلة القرآنية (تلوينها، توزيعها الإيقاعي، الإيقاع الداخلي)

"الفاصلة كلمة آخر الآية القرآنية كقافية الشعر وقرينة السجع"[١]. والفاصلة ذات أثر واضح في العبارة الموسيقية، يزيد الأسلوب رونقاً وجمالاً، لكن ليس على حساب المعنى، وتلك ميزة فنية في الأسلوب القرآني، وهي أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق، وتؤدي في نفس الوقت تناسباً في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذاك، أو يخضع النظم للضرورات".[٢]

---

(1) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ط٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٨٧، ج٢، ص١٢٤.

(2) صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٥، ص ٨٤.

إن "السجع المطبوع في البيان العربي كافة ليس حلية لفظية تقف عند الشكل وحده، ولو كان كذلك ما استطاع أن يتخطى العصور القديمة من أبعد عهود العربية إلى عصور الثقافة المترفة، محتفظاً بطابعه الآسر وبأنصاره الملهمين، وقرائه المتذوقين، ولكنه في خالص أمره عمل أدبي وجداني يكون صدى لأحاسيس حية يزيد في تجليتها ويترجم عنها ترجمة ذات إيحاء وتأثير، لأن الكاتب الفني لا ينقل عن خاطره كما يلخص العالم النظري نتيجة بحثه بعيداً عن منافذ إحساسه، ومنازع خواطره، ولكنه يقدم قدر الطاقة صورة ناطقة بما يمور في نفسه من انفعال، وإذا كانت الألفاظ وحدها لا تستطيع الترجمة الدقيقة عن الخواطر إلا إذا نسقت تنسيقاً يحفل بالإشعاع ويومض باللمع، ويستجيش القارئ بما يجمع من تلاؤم واتساق؛ فإن السجع المطبوع هنا عمل ضروري يزيد في الإفصاح عن المشاعر".[١]

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد جاءت معظم فواصل السورة منتهية بالنون؛ حيث بلغ تعدادها (١١٤) فاصلة، أما الأربع الباقية فجاءت منتهية بالميم، وهذان الحرفان (النون والميم) "هما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها"[٢]، وهما الحرفان الغالبان على فواصل القرآن، ويعلل ذلك الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: "ومن النتائج التي حققها المحدثون أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً".[١]

"ولا بد من الالتفات إلى موقعية الفاصلة، إذ أنها في نهاية الآية، والخواتم أيضاً مثل الفواتح في الحسن، لأنها آخر ما يقرع الأسماع، وهذا ما يفسر اختيار النون والميم والراء

---

(1) محمد رجب البيومي، البيان القرآني، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٥٣-١٥٤.

(2) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٢٧.

تالك الأصوات السهلة الندية في السمع والمحبوبة إلى الأذن، وتصاحب النون والميم الغنة، وليست الغنة إلا إطالة لصوت النون مع تردد موسيقى محبب فيها، وكأن هذا الصوت يبقى متردداً تردد الصدى، ليبقى المتلقي فترة أطول تحت سلطان النص، وتطغى النون أكثر من الميم والراء، وهي وإن كانت والميم تشتركان في مصاحبة الغنة، إلا أنها أكثر اتصافاً بها منهما، وأكثر إطراباً منها، ولخصوصية النون جيء بها للترنم بدلاً من الألف وتنوين الترنم، وهو الذي يلحق القوافي المطلقة بحرف علة، كقوله:

أقلي اللوم ــ عاذل ــ والعتابن وقولي إن أصبت لقــد أصابــن

فجيء بالتنوين بدلاً من الألف لأجل الترنم".(1)

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد جاءت الآيات الأربع المختومة بالميم، متميزة في معانيها، فتنوع الفاصلة في القرآن لا يأتي لمجرد التنوع فحسب، وإنما وراء ذلك أسرار يخفى بعضها ويظهر بعضها.

والآيات هي (٥١، ٧٣، ٨٦، ١١٦)، وقد جاءت ثلاث فواصل من هذه الأربع تتعلق بصفات الله؛ وهي (عليم)، (رب العرش العظيم) (رب العرش الكريم)، أما الرابعة فقد جاءت وصفاً لدين الإسلام (صراط مستقيم) إذا فهي فواصل جليلة المعنى.

ففي الآية الأولى ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**[٥١]﴾ نرى خطاباً عظيماً من الله جل جلاله، وقد جمع لهذا الأمر الرسل جميعاً، كما أن هذه الآية جاءت تعقيباً على قصص الأنبياء في السورة، وجاءت لتفصل بين الأقوام

---

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٢٧.

السابقين وقوم قريش، فكان اختلاف الفاصلة ممهداً لاختلاف المخاطبين، أما الآية الثانية ﴿**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**[٧٣]﴾، فهي تتحدث عن طريق مميز وهو طريق الإسلام، فحُقَّ له أن تخصص له فاصلة متميزة.

أما الآيتان الأخيرتان فهما ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**[٨٦]﴾ ﴿ **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**[١١٦]﴾ فلا يخفى على القارئ عظم هاتين الفاصلتين، اللتين تصفان عرش الرحمن، رب الأرض والسماوات كما لا يخفى على القارئ رداء العظمة والجلال الذي تجللت به الآيتان الكريمتان، لذا حُق لهاتين الآيتين أن تكونا مميزتين في فاصلتيهما، والله أعلم بأسرار كتابه.

قلت: إن معظم فواصل السورة انتهت بنون، أما الردف (وهو ما قبل الحرف الأخير) فقد جاء موزعاً بين الواو والياء بوصفهما حرفي مد؛ فقد وردت الواو (٨٢) مرة، والياء (٣٦) مرة، وهذان الحرفان يتضافران مع الحرف الأخير في إحداث الترنم. يقول سيبويه: "أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون ما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت(٢)، "ولهذه الأصوات صفة أخرى وهي الوضوح (السمعي) وهي رنانة أكثر من السواكن، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو وبين الياء والواو قرب ونسب ليس بينهما وبين الألف، وتراهما يجتمعان في القصيدة الواحدة ردفين، ولعل السبب في

---

(1) أسامة عبد المالك عثمان، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة النحل، رسالة ماجستير جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠١م، ص ١٧.

(2) سيبويه، الكتاب، ط٣، ٥م، تحقيق عبد اللام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ج٤، ص ٢٠٤.

صلاحية الواو والياء أن تكونا ردفين أكثر من الألف، أن الأخيرة أعلاهن في صفات المد وأكثرهن اتساعاً". (١)

أما الأصوات السابقة للردف، فقد كثر منها الأصوات التالية: صوت الراء حيث ورد (١٨) مرة، واللام (١٨) مرة، والميم (١٣) مرة، أما الدال فـ (٨) مرات والباء (٧) مرات، والعين (٧) مرات، والنون (٦) مرات)، أما أحرف الهمس (الثاء، والحاء والكاف) فقد ورد كل منها (٥) مرات.

أما من حيث الطول؛ فقد كان عدد الآيات التي تتكون من (١٠) كلمات فأقل (٩٢) آية، وكان عدد الآيات التي تتكون من (١١-١٩) كلمة (١٩) آية، وبقية الآيات أطول من ذلك؛ لذا فمعظم آيات السورة الكريمة متوسطة الطول، وهذا يناسب موضوعات الفترة المكية، التي تحدثنا عنها سابقاً عند طول المقاطع الصوتية والقرآن ينوع في ألوان الإيقاع الموسيقي، فنجده يأتي بالفواصل القصيرة، فالمتوسطة الطول، فالطويلة، ثم القصيرة ثم الطويلة، ثم يعود إلى القصيرة أو المتوسطة وهكذا، وهذا يحدث نغماً متنوعاً تختلف موجاته، وتتعد إيقاعاته.

ولقد قسم البديعيون السجع، ومثله الفواصل، إلى أقسام بناء على اعتبارات من الوزن والتقفية، وهذه الأقسام هي: المطرف والمتوازي و المرصع والمتوازن والمتماثل.

وقد شملت السورة هذه الأنواع بدرجات متفاوتة، فمعظم فواصل السورة جاءت من النوع الأول (المطرف) وهو: "أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف السجع"(١) نحو ﴿**قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ**[٣٩] **قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ**[٤٠]﴾.

---

(1) أسامة عثمان، طواهر أسلوبية وفنية في سورة النحل، ص ١٨.

أما المتوازي: "فهو أن يتفقا وزناً وتقفية[٢] نحو قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ[٤]وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ[٥]**﴾ وقد جاءت الآيات التالية على هذا النوع: (٤-٥) (٧-٨)، (١٠-١١)، (٣٢-٣٣)، (٤٠-٤١)، (٥٨-٥٩)، (٦٠-٦١) (٨٧-٨٨)، (١٠٣-١٠٤).

أما المتوازن: "فهو أن يتفقا في الوزن دون التقفية"[٣] نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ[٥٠] يَأَيُّهَا الرُسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ[٥١]** ﴾ ولم يرد من هذا النوع سوى هذه الآية.

وقد جاءت الفاصلة مترسلة، غير مقيدة بوزن ولا روي في ثلاث آيات (٧٣، ٨٦، ١١٦). وقد ذكرناها سابقاً.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن إيقاعات الفاصلة التصدير: "وهو عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالباً، أو معنوية نادراً، وتحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كل كلام".[٤]

وقد ورد التصدير في الآيات التالية:

١. ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ[٢٩]**﴾

وفي تكرار المشتقات من (الإنزال) إشارة إلى أهمية (المنزل) فضلاً عن الجانب الموسيقي.

٢. ﴿**وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ[١١٨]**﴾ .

---

(1) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ١٣٣.

(2) المرجع ذاته، ص ١٣٣.

(3) المرجع ذاته، ص ١٣٣.

(4) ابن أبي الاصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص ٣٦.

وفي تكرار مشتقات (الرحمة) إشارة إلى حاجة المؤمنين إلى رحمة الله الواسعة.

٣. ﴿**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ**[٦٣]﴾

٤. ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**[١٤]﴾.

ونلمح في هذه الآية تكراراً لمشتقات الخلق (٤) مرات، وهو تكرار يومي بتفرد الله ــ سبحانه ــ بالإيجاد والخلق.

٥. ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**[١٠٩]﴾

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن إيقاعات الفاصلة، التذييل: "وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتأكيد".(١)

ومن الأمثلة في السورة على ذلك:

١. الآية التي ذكرتها سابقاً: (ثم خلقنا .... فتبارك الله أحسن الخالقين) ومن تأمل في عجائب الخلق الإنساني في هذه المراحل الأولى، وعرف أن العلم ما زال إلى اليوم عاجزاً عن تفسير كيفية الخلق، فلا بد من أن ينطق لسانه بما خُتمت به الآية الكريمة (فتبارك الله أحسن الخالقين).

٢. ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**[٤١]﴾ وهو تذييل فيه "دلالة على الراحة النفسية التي شعر بها من في الكون بعد أن تخلصوا من هؤلاء الظالمين".(٢)

٣. ومن التذييل في السورة، ما جاء ثناءً على الله ــ سبحانه ــ أو تنزيها له ــ سبحانه ــ عن أقوال المشكرين، وذلك مثل:

- ﴿**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**[٧٢]﴾.
- ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**[٩١]**عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**[٩٢]﴾ .
- ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**[١٠٩]﴾ .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وسيأتي المزيد من الأمثلة على التذييل في مبحث الإيقاع الداخلي.

ومن إيقاعات الفاصلة المطابقة، أو الطباق والتضاد وهو "الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة".(١)

ومن ذلك في السورة:

١. ﴿**مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**[٤٣]﴾ .

٢.﴿**بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**[٩٠]﴾ .

إذاً فالسورة الكريمة تضمنت أنماطاً متعددة من الفواصل، وذلك لنيل أقصى طاقة صوتية وإيقاعية ممكنة، ولم تلتزم نمطاً واحداً فحسب، وإنما اعتمدت على التنويع لكسر الرتابة، ولإثراء التعبر بأنغام موسيقية متنوعة.

---

(1) الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ط١، أبناء شريف الانصاري للطباعة، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٢٧.

(2) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ط٣، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٠، ص ٥٦.

- **الإيقاع الداخلي:**

يقول الدكتور تمام حسان "فإذا لم يكن للفاصلة غرض نحوي ولا دلالي فماذا يكون الغرض منها إذاً؟ أغلب الظن أن الغرض منها جمالي صرف، وإن توافقت أحياناً مع تمام المعنى".(٢)

ولست أوافق الدكتور تمام على هذا الرأي، الذي يمثل رأي طائفة من العلماء قديماً وحديثاً، فإن الفاصلة وإن كنت لا أنكر دورها الموسيقي في الكلام ولا دورها الإيحائي ولا أنكر تأثيرها في النفوس، فإنها مع ذلك تأتي مستقرة في مكانها، مطمئنة في موضعها غير قلقة ولا نافرة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقاً تاماً؛ بحيث لو سقطت أو أبعدت لاختل المعنى وانبهم المقصود، وهذا مظهر من مظاهر العظمة في هذا الكتاب العظيم.

يقول الرماني: "وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها".(٣)

وسأضرب أمثلة من السورة نفسها لأؤكد صحة ما ذكرت، وسأختار آيات يُظن للوهلة الأولى أن فواصلها ما جاءت إلا مراعاة للروي (أي للجانب الموسيقي فحسب) ولكن عند التأمل فيها، يظهر لنا ائتلافها مع المعنى:-

١. يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ**[١٧]﴾.

---

(1) الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح ...، ص ١٧٥.

(2) البيان في روائع القرآن، ص ٢٨٥.

(3) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ص ٨٩.

قد يسأل السائل، هل جاءت ﴿ **وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ** ﴾ لأجل فواصل الآي؟ وإن لم يكن كذلك فما وجه ارتباطها بأول الآية؟

يقول العلامة الطباطبائي "وقد سماها طرائق ــ جمع طريقة ــ وهي السبيل المطروقة لأنها ممر الأمر النازل من عنده تعالى إلى الأرض ... والسبل التي تسلكها الأعمال في صعودها إلى الله، والملائكة في هبوطهم وعروجهم، وبذلك يتضح اتصال ذيل الآية ... بصدرها: أي لستم بمنقطعين عنا ولا بمعزل عن مراقبتنا، بل هذه الطرائق السبع منصوبة بيننا وبينكم يتطرقها رسل الملائكة بالنزول والصعود، وينزل منها أمرنا إليكم، وتصعد منها أعمالكم إلينا.[١]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره العلامة، أن العقل البشري المحدود، عند تأمله في سعة السماوات، قد ينقدح في ذهنه هذا السؤال: وكيف يمكن أن يُحاط بما في هذه السماوات الواسعة؟ فجاء التذييل (وما كنا عن الخلق غافلين) ليقشع عن العقل سحابة الضعف البشري.

٢. ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ**[٣١]﴾ .

قد يسأل سائل: هل جاءت (آخرين) مراعاة للفواصل، أما يمكن أن يُستغنى عنها؟ يبين البقاعي أن (آخرين) ذكرت "حتى لا يظن ظان أنهم فرقة من المهلكين نجوا".[٢]

٣. ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**[٤٥] **إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ**[٤٦]﴾

---

(1) محمد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط٢، ٢٠م، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص (٢٢).

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، ٨م، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، م٥، ص ١٩٨.

قد يسأل سائل لم قال تعالى ﴿ وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ﴾ مع أن الآية قد نصت على تكبرهم (فاستكبروا). فأقول: هذا التذييل يدل على أن استكبار هؤلاء القوم عن دعوة موسى، ناشئ عن سجية متجذرة في الكبر، ومتطبعة عليه، وكأن الكِبر فيها مرض مزمن لم تشفه اليد البيضاء، التي جاء بها موسى عليه السلام، لأن العلة ليست في الطبيب بل في المريض.

٤. ﴿**فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ**[٤٨]﴾

قد يقول قائل: لِمَ لمْ تقل الآية فأهلكوا بدل (فكانوا من المهلكين)، يرد على ذلك الطاهر ابن عاشور: "وهذا أبلغ من أن يقال: فأُهلكوا ... وفي هذا تعريض بتهديد قريش على تكذيبهم رسولهم ﷺ، لأن في قوله (من المهلكين) إيماء إلى أن الإهلاك سنة الله في الذين يكذبون رسله. (١)

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٥. في قوله تعالى: ﴿**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ**[٦٣]﴾

ألا يمكن أن يستغنى عن (هم لها عاملون) ويبقى معنى الآية تاماً؟ يجيب على ذلك محمد حسين فضل الله بقوله: (هم لها عاملون) يختارون القيام بها عن سابق قصد وتصور وتصميم، مما يوحي بأن أعمالهم تلك ترتكز على قاعدة نفسية معقدة ضد الخير، ومنفتحة على الشر، وهم يصرون على أعمالهم تلك دون أي حساب للنتائج السلبية، التي تترتب عليها على مستوى المصير، كما لو كانوا يحملون الأمان بأيديهم".(٢)

٦. في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**[٦٨]﴾

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٥م، دار ... للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧، م٩، ج١٨، ص ٦٥.

(2) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ط٢، ٢٤م، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٨م، ج١٦، ص ١٧٠.

لم تأت (الأولين) مراعاة للفاصلة فحسب، وإنما هي تعبر عن شدة إنكار الكفار لرسالة محمد ﷺ، فدعوته ــ في زعمهم ــ لم يسمع بها آباؤهم الأقدمون، فضلاً عن الأقربين فهي ــ في زعمهم ــ منكرة لا جذور لها.

٧. في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**[٧٦]﴾

هل جاءت لفظة (يتضرعون) فعلاً مضارعاً مراعاة للفواصل كما يقول البروسوي في تفسيره(١)؟ يرد على هذه المقولة الزمخشري وابن عاشور، فيقول الأول: (فمحناهم فما وجدت منهم استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا، حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد"(٢)ويقول الثاني: "والتعبير بالمضارع في (يتضرعون) لدلالته على تجدد انتفاء تضرعهم".(٣)

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- **مركزية الفاصلة:**

لقد لاحظت في فواصل السورة ــ بعد أن كتبتها مستقلة عن الآيات ــ أنها تعد ــ غالباً ــ في الآيات محوراً هاماً من حيث المعنى، وقد ختمت بها الآيات، لتظل آخر ما يقرع السمع؛ ففي قوله تعالى ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**[١٥] **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**[١٦]﴾ نرى الآية الأولى ختمت بالحديث عن الموت، وهو محور الآية، أما الثانية فختمت بالحديث عن البعث (تبعثون) وهو محور الآية. وهذان المثالان لتوضيح الفكرة. إذاً ففواصل القرآن ــ في غالبها ــ تُعد محوراً معنوياً تدور حوله الآية، إلى جانب دورها الإيقاعي، وهذا يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.

---

(1) البروسوي، تفسير روح البيان، ١٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م٦، ص ٩٨.
(2) الزمخشري، الكشاف، ط١، ٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ص .
(3) ابن عاشور، التحرير...، م٩، ج١٨، ص ١٠١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

رابعاً: إيقاع المعاني المفردة

يقول عزيز عدمان حول هذا الموضوع عند دراسته لسورة الفرقان:

" مما لا شك فيه أن النص القرآني لا يكتفي بالصوت الخارجي الرتيب، بل يجاوزه إلى إيقاع المعاني المفردة، أو تناسب الدلالات، بغية البحث عن الطاقة الصوتية والإيقاعية الكامنة وراء طبيعة التركيب اللغوي للسورة. إن وسيلة الصوت المتجانس، قد لا تكفي في استغلال الإمكانيات التعبيرية الكامنة في المادة الصوتية لسورة الفرقان، ومن هنا تتخذ السورة البنى المتقابلة والعناصر المتقابلة وسيلة مفضلة في توليد بعض التشكيلات الإيقاعية، ويُعد الطباق من أخصب التقنيات الدلالية المولدة لتوازنات ثرية وإيقاعات تامة التناسق. (١)

وقد ورد الطباق في سورة (المؤمنون) في الآيات التالية: (٢)

١. ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**[٣٧]﴾.

٢. ﴿**مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**[٤٣]﴾ .

٣. ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**[٩٢]﴾.

٤. ﴿**قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**[٨٨]﴾.

٥. ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**[٩٦]﴾.

في هذه الآية طباق بالمعنى لا باللفظ؛ لأن المعنى ادفع بالحسنة السيئة.

٦. ﴿**بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**[٩٠]﴾.

٧. في قوله تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**[٨٠]﴾.

---

(1) عزيز عدمان، سورة الفرقان، دراسة أسلوبية، ص (٩٤).

(2) وضعت خطاً تحت الكلمتين اللتين فيهما طباق.

طباق بين يحيى ويميت، وطباق بين الليل والنهار، وهذان النوعان من الطباق متشابهان؛ لأن دورة الموت والحياة، والبعث شبيهة بدورة الليل والنهار، ويمكن أن نمثل هاتين الدورتين بهذين الشكلين

حياة ← موت ← بعث　　نهار ← ليل ← نهار

ويظل الطباق بظلاله النغمية والدلالية من أغنى وسائل التعبير الإيقاعي للنص القرآني.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

وفي ختام هذا الفصل أقول: إن كل ما ذكرته سابقاً من جوانب صوتية ــ سواء كان في مجال الأصوات أو المقاطع أو الفواصل أو الوحدات اللغوية ــ لا يمكن فصل جانب منه عن آخر، إلا بهدف الدراسة؛ لأن هذه الجوانب تعمل جميعها متعاضدة متداخلة متناسقة في إبراز التميز الإيقاعي للسور القرآنية، وإن العقل البشري القاصر ليعجز عن الإحاطة بأسرار هذا التناسق والتداخل.

وسأضرب مثالاً لأبين كيف أن هذه الجوانب، تتشارك (جميعها) في إحداث التجلي الإيقاعي للقرآن.

يقول تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**[١٨] **فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**[٩]﴾.

لقد ساهم في التميز الإيقاعي لهاتين الآيتين الكريمتين، تداخل أكثر من جانب فعلى مستوى الأصوات نجد تواتراً كبيراً لحرف النون (٢٠) مرة وهو حرف غنة، وحرف (الميم) وحرف (الكاف)، ونجد فيها تواتراً كبيراً (للغنة) [١] (١٣) مرة ولاحظ الغنة في كلمة (أسكناه) واتفاقها مع معنى الثبات.

وعلى مستوى المقاطع، نجد وفرة في المقاطع المتوسطة المفتوحة، خاصة الآية الثانية، حيث ورد فيها (١٠) مقاطع مفتوحة مقابل (١٣) مقطعاً متوسطاً مغلقاً.

كما نجد في الآيتين مقطعين مديدين؛ وهذه المقاطع المفتوحة والمديدة تناسب الحديث عن الانعام والرحمة، كما نلحظ جلياً ارتباطاً بين المد الزائد في كلمة السماء والعلو، كما نلمح في الآيتين توازناً مقطعياً يبدو جلياً في بداية كل آية، حيث نجد المقاطع السبعة الأولى في الآية الأولى هي نفسها في الآية الثانية (١٢١٣٢٢١) كما أن المقطع الثامن في الآيتين متشابه فكلاهما مفتوح؛ (وإن كان أحدهما متوسطاً وثانيهما مديدا).

وقد شارك أيضاً في الجانب الإيقاعي فاصلتا الآيتين، اللتان جاءتا منسجمتين مع الآيتين، خاليتين من التصنع، متفقتين مع الحرف البارز في الآيتين (النون) والطباق الذي نلمحه بين (أسكناه) و (ذهاب).

فكل ما ذكرناه (وغيره) أبرز التجلي الإيقاعي لهاتين (الآيتين) الكريمتين ولا بد لكل من يريد أن يتذوق الجمال الإيقاعي، أن يقرأ الآيتين الكريمتين وفق أحكام التجويد.

---

(1) أقصد الغنة التي تغن حركتين، ولها أحكامها الخاصة في علم التجويد.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثاني: المستوى الصرفي

أولاً: بنية الأسماء:

١. التنكير.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٢. التعريف.

أ. الضمير ب. العلم ج. اسم الإشارة

د. الاسم الموصول هـ المعرف بأل و . المضاف إلى معرفة

٣. الجموع.

ثانياً: بنية الافعال:

١. الماضي والمضارع والأمر.

٢. البناء للمجهول.

٣. الأفعال الخمسة.

المستوى الصرفي

أولاً: بنية الأسماء

- **١. التنكير والتعريف:**

١. النكرة:

عند التأمل في سورة (المؤمنون)، نجد التعبير القرآني قد أكثر من استخدام النكرة؛ لأنه يحقق أغراضاً بلاغية، بعضها يسهل إدراكه، وبعضها مما يحتاج إلى إعمال فكر.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأهم هذه الأغراض ما يلي:-

أ. التعظيم:

ففي قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**[٥٠]﴾ .

نجد كلمة (آية) جاءت نكرة للتعظيم، يقول ابن عاشور: "وتنكير (آية) للتعظيم لأنها آية تحتوي على آيات، ولمّا كان مجموعها دالاً على صدق عيسى في رسالته جعل مجموعها آية عظيمة على صدقه كما علمت".(١)

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**[٧٣]﴾، جاءت كلمة صراط (نكرة للتعظيم) (٢)

وفي قوله تعالى: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ**[٢٠]﴾

جاءت كلمة (شجرة) نكرة، ولم يذكر اسمها (الزيتون)، وإنما ذكرت بوصفها (تنبت بالدهن وصبغ للآكلين)، وهذا الغموض يحيط الشجرة بنوع من الفخامة والعظمة، ويجعل النفس متشوقة لمعرفتها؛ وكل ذلك ليعرف الإنسان نعمة الله العظيمة عليه المتمثلة هنا في هذه الشجرة المتعددة الخيرات.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب. التكثير:

في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**[١٨] **فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**[١٩]﴾.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص ٦٧.

(2) محيي الدين زادة، حاشية محيي الدين زادة على تفسير البيضاوي، ط١، ٨م، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩، ج٦، ص ١٧٦.

يقول البيضاوي: "وفي تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه، ومبالغة في الإبعاد به، ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾ .[١]

وقد وردت الكلمات التالية نكرات (جنات، نخيل، أعناب، فواكه) ولعل في مجيئهما نكرات إشارة إلى كثرتها، وهذا من التناسق في الآيتين الكريمتين؛ ففي مقابل كلمة (ذهاب) الدالة على كثرة طرق ذهاب الماء (من غوره في الأرض أو عدم نزوله من السماء، أو تفرقه في أنحاء الأرض). تأتي كثرة الأشجار الناتجة عن بقاء هذا الماء، ليتعرف الإنسان نعم الله العظيمة عليه، وليبقى خائفاً من ذهابها.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ج. التقليل:

يقول تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**[٧٨]﴾ .

يقول محمد الصابوني: "التنكير للتقليل (قليلاً ما تشكرون) وما تأكيد للقلة المستفادة من التنكير، والمعنى شكراً قليلاً، وهو كناية عن عدم الشكر".[٢]

د. التعميم:

في قوله تعالى: ﴿**وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**[٦٢]﴾ .

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ج٢، ص ١٠١.
(2) محمد الصابوني، صفوة التفاسير، ط١، ٣م، دار الصابوني، القاهرة، ١٩٩٧، ج٢، ص ٢٩٤.

جاءت كلمة (نفساً) نكرة، لتفيد العموم الذي يستغرق كل أفراد الجنس، فكأن الآية تقول، ولا نكلف كل نفس إلا وسعها؛ وهذا يشير إلى أن لكل إنسان وسعاً وطاقة يختلف عن غيره من الناس؛ وهذا يتفق مع ما توصل إليه علماء النفس في هذا العصر فيما يسمونه (الفروق الفردية)، ولا بد لكل تربوي من أن يدرس هذه الفروق الفردية (التي تتعلق بالقدرات العقلية والنفسية والجسمية)، ومن عدل الله أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولو جاءت كلمة (نفس) معرفة لما استطعنا أن نستخرج منها المعنى السابق، فلو كانت الآية (ولا نكلف النفسَ إلا وسعها) لكانت الآية تتحدث عن جنس النفس الإنسانية، بغض النظر عن أفرادها.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هـــ. ومن المواضع التي تحتاج إلى إعمال فكر، تنكير كلمة (رسول) في قوله تعالى ﴿**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ**[٣٢]﴾؛ فقد يسال سائل، ما الحكمة من عدم ذكر اسم الرسول هنا، مع أنه قد ذكر اسم الرسول في القصة السابقة (نوح)؟

اقول: لعل ذلك يعود إلى أن القرآن الكريم يريد منا أن نركز على الحدث نفسه لا على الأشخاص، أن نفقه سنة الله في خلقه، وأن نتدبر موقف المؤمنين والكافرين من الرسول، وكيف كانت الخاتمة. أما لماذا ذكر اسم النبي في القصة التي قبلها؟

فأقول: ربما يعود ذلك إلى أن قصة نوح تُعد نموذجاً متميزاً في الرسالات، يمثل هذا التميز طول المدة التي لبثها نوح ــ عليه السلام ــ في قومه (ألف سنة إلا خمسين عاماً) بذل فيها نوح عليه السلام جهداً مضنياً، وقد صورت هذا الجهد سورة (نوح)، كما أن قصة نوح كانت النموذج

الأول في تاريخ البشرية؛ فقد ورد في الحديث الصحيح: "... **فيأتون نوحاً، فيقولون يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض** ..." [(١)]، فناسب ذلك أن يذكر فيها اسم النبي.

- **٢. المعرفة:**

أ. الضمير:

وهو أعرف المعارف كما يذكر ابن هشام[(٢)]، وله وظيفة أسلوبية إذ أنه يعين (في اللغة العربية على الإيجاز والربط المحكم بين أجزاء الجملة، وله قيمة (مورفيمية) في تغيير المعاني النحوية، ولكن التعبير القرآني يضيف إلى هذه الخصائص العامة للضمير، خصائص أخرى تكسبه قيمة تعبيرية فنية بليغة" [(٣)] ومن هذه الخصائص في سورة (المؤمنون) ما يلي:-

١. التعظيم

في قوله تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**[٢٧]﴾ .

---

(1) النووي، رياض الصالحين، ط٣، تحقيق حسان عبد المنان، مكتبة برهومة، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤١٣هـ، ص ٤٨٣، والحديث رواه الشيخان.

(2) ينظر شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي عبد الحميد، دار الفكر، ص ١٢٩.

(3)محمود أحمد نخلة (دراسات قرآنية في جزء عم)، ص ١٤٤.

نلمح في هذه الآية الكريمة تكراراً واضحاً لـــ (نا) العظمة، التي تعبر عن عظمة الرب سبحانه، وشدة انتقامه من أعدائه.

وفي قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ**[٩٩]﴾ .

جاء الفعل ارجع متصلاً بالواو، للدلالة على عظمة المخاطب سبحانه، كما أن هذا الضمير بما فيه من مد، يتفق وجو الحسرة الذي يعيشه المتكلم.

٢. تقوية الحكم:

كما في قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**[٧]﴾

حيث جاء (توسيط ضمير الفعل لتقوية الحكم، أي هم البالغون غاية العدوان على الحدود الشرعية) (١) ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ**[١٠]﴾.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **... إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**[١١٧]﴾ ، فإن الضمير في إنه "يفيد من القوة في نفي الفلاح ما لا يفيده قولنا (إن الكافرين لا يفلحون)".(٢)

٣. الاختصاص:

في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**[١١١]﴾.

جاء "ضمير الفصل للاختصاص، أي هم الفائزون لا أنتم".(٣)

ومثلها قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**[١٠٢]﴾.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص ١٥.

(2) فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، ط١، دار العلم لملايين، بيروت، ١٩٨٥، ص ٣٠٩

(٣)ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩ ، ج١٨ ،ص١٣٠

وضمير الجمع (هم) تكرر في الآيات (١-١١) ٩ مرات، ثمان منها في حق المؤمنين، وواحدة في حق الكافرين، وفي الآيات (٥٧-٦١) تكرر (هم) في حق المؤمنين (٤) مرات، لأنها سورة (المؤمنون).

٤. تعدد العوائد:

من خصائص القرآن الكريم أنه حمال أوجه، ثرّ المعاني، ففي قوله تعالى: ﴿**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ**[٦٧]﴾ ، يقول الطاهر ابن عاشور: " وضمير (به) يجوز أن يكون عائداً على الآيات لأنها في تأويل القرآن، فيكون (مستكبرين) بمعنى معرضين استكباراً،ويكون الباء بمعنى (عن) ... ويجوز أيضاً أن يكون الضمير للبيت أو المسجد الحرام، وإن لم يتقدم له ذكر لأنه حاضر في الأذهان ... لا سيما وقد ذكرت تلاوة الآيات عليهم، وإنما كان النبي ﷺ يتلو عليهم آيات القرآن في المسجد الحرام إذ هو مجتمعهم، فتكون الباء للظرفية، وفيه إنحاء عليهم في استكبارهم ... فالاستكبار في الموضع الذي شأن القائم فيه أن يكون قانتاً لله حنيفاً أشنع استكبار وعن منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي قاضي قرطبة، أن الضمير في قوله (به) للنبي ﷺ، والباء حينئذ للتعدية، وتضمين (مستكبرين) معنى مكذبين لأن استكبارهم هو سبب التكذيب".[١]

فقد كان التعبير بهذا الضمير حمالاً لكل هذه الأوجه، وما كانت الآية لتسع كل هذه المعاني لو جاء بدل هذا الضمير اسمٌ ظاهر.

ب. العلم:

لا يحفل القرآن كثيراً بأسماء الأعلام من البشر، لأن القرآن كتاب مبادئ لا كتاب أشخاص، ولكي لا يظن ظان بأن القضية المطروحة مرتبطة باسم هذا الشخص المذكور أو هذا المكان أو ذاك الزمان، فالأنبياء الكرام ــ رغم كثرهم ــ لم يذكر منهم في القرآن إلا خمسة وعشرون، يمثلون نماذج متميزة في تاريخ الدعوة، وأهل الكهف ــ مثلاً ــ لم يذكر القرآن أسماءهم ولا زمانهم ولا مكانهم، وهذا منهج قرآني ملحوظ؛ لذا لا نعجب إذا رأينا الأعلام في سورة (المؤمنون) قليلة، وكان أكثر هذه الأعلام، علم الأعلام (لفظة الجلالة) حيث ورد (١٠) مرات، ثم تأتي الأعلام المتعلقة بالآخرة وهي: الفردوس والقيامة والآخرة، وهذان العلمان (لفظ الجلالة، والقيامة) يتعلقان بأهم أغراض القرآن من توحيد الله عز وجل والحديث عن اليوم الآخر، اللذين ينتج عنهما صلاح الدنيا والآخرة، فلا عجب إذاً أن تكون أكثر اعلام السورة تتعلق بهما ليبقى أثر تكرارها راسخاً في الذهن والنفس؛ ولتتربى النفس على إجلال الاسم الجليل (الله).

ومن الأعلام التي وردت في السورة أسماء بعض الأنبياء، وهم نوح وموسى وهارون وعيسى عليهم السلام؛ ونلمح في هذه الأسماء أنها تمثل نماذج متميزة في تاريخ الدعوة، وتجارب متفردة، حيث نرى ثلاثة منهم يُعدون من أولي العزم من الرسل وهم نوح وموسى وعيسى، والرابع وهو (هارون) يُعد رديفاً لموسى عليهما السلام. وهذا يتناسق وجو السورة التي تتحدث عن الصفوة (المؤمنين).

---

(1) المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.

كما أن الأعلام الأخرى في السورة أعلام متميزة، فمريم خير نساء العالمين، وطور سيناء من الأماكن المتميزة التي شهدت نزول رسالة من أعظم الرسالات، بل إن الطاغية الوحيد المذكور باسمه طاغية ظاهر في طغيانه وتجبره وهو فرعون لعنه الله.

إذا فأعلام السورة أعلام بارزة متميزة، في سورة ذات اسم متميز، تتحدث عن فئة متميزة.

ج. اسم الإشارة:

أسماء الإشارة قليلة الورود في سورة (المؤمنون)، وقد جاءت هذه الأسماء لتحقق معاني عدة، اكتسبتها من المقام، ومن هذه المعاني:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١. التعظيم:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ[١٠]﴾ .

"أولئك: إشارة إلى علو طبقتهم، وبعد درجتهم في الفضل والشرف".(١)

وقال تعالى: **﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ[٦١]﴾**.

واسم الإشارة (أولئك) يشير أيضاً إلى بعد رتبتهم في الفضل.

وأحياناً يعبر باسم الإشارة- في إطار السياق- عن عظم الذنب، كقوله تعالى: **﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ[٧]﴾**.

يقول الألوسي: "الكاملون في العدوان المتناهون فيه، كما يشير إليه الإشارة والتعريف وتوسيط الضمير المفيد لجعلهم جنس العادين أو جميعهم".(٢)

ومن هذا الباب ايضاً ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**[١٠٢] **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** [١٠٣]﴾.

٢. التحقير:

قال تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا**[٢٤]﴾ .

فقد تحدث الكفار عن نوح عليه السلام بلفظ (هذا)، لأن مرادهم تحقير شأنه، وتصغير أمره، كي لا يتقبل الناس دعوته.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

٣. توسيع المعنى (انفتاح الدلالة):

من عجائب الأسلوب القرآني، أنه يعبر عن عدة معان بجملة واحدة، أو بلفظ واحد وكلها صحيحة، فمثلاً يقول القرآن على لسان قوم نوح ﴿... **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**[٢٤]... ﴾ واسم الإشارة (هذا) يحمل أكثر من معنى، يقول الزمخشري: "(بهذا) إشارة إلى نوح عليه السلام، أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله: أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام، أو بمثل هذا الذي يدعي ــ وهو بشر ــ أنه رسول الله".(٣)

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**[٥٢]﴾ .

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السلم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١، ج٤ ص ٤٠٤.

(2) الآلوسي، روح المعاني، م٩، ج١٨، ص ٧.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص ١٧٨.

يقول الطاهر: "واسم الإشارة مراد به شريعة كل الأنبياء أو شريعة الإسلام".[١]

د. الاسم الموصول:

١. يستخدم القرآن الكريم الاسم الموصول في كثير من المواضع، حين تكون صلته هي مدار الحكم وموضع الاهتمام،، "وقد يتعدد الموصول، وتتعدد تبعاً لذلك الصلات، حيث يراد الاهتمام بكل صلة واستقلالها بأمر مستحق للبيان والإظهار".[٢]

وهذا نلحظه في سورة (المؤمنون)؛ حيث يتعدد الاسم الموصول في أكثر من موضع، عند حديثه عن صفات المؤمنين (المتميزة)، فكل صفة من صفاتهم تستحق أن تفرد باسم موصول.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول ابن عاشور في تفسيره للآيات الأولى من السورة "إجراء الصفات على (المؤمنون) بالتعريف، بطريق الموصول وبتكريره، للإيماء إلى وجه فلاحهم وعلته؛ أي أن كل خصلة من هاته الخصال هي من أسباب فلاحهم، وهذا يقتضي أن كل خصلة من هذه الخصال سبب للفلاح؛ لأنه لم يقصد أن سبب فلاحهم مجموع الخصال المعدودة هنا، فإن الفلاح لا يتم إلا بخصال أخرى مما هو مرجع التقوى، ولكن لما كانت كل خصله من هذه الخصال تنبئ عن رسوخ الإيمان من صاحبها اعتبرت لذلك سبباً للفلاح".[٣]

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص (٧٠). (٣)محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، ص ١٥٨.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص ٩.

والكلام السابق ينطبق أيضاً على الآيات التالية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ**[٥٧] **وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**[٥٨] **وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ**[٥٩] **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**[٦٠] **أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**[٦١] ﴾ .

٢. قد يستعمل القرآن الاسم الموصول ليثير في النفس شوقاً إلى معرفة الخبر، وهذا ما نراه في الآيات السابقة، حيث جاء الاسم الموصول ليشوق القارئ إلى معرفة الخبر ﴿**أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**[٦١]﴾.

٣. ويأتي الاسم الموصول كذلك، لإظهار أن الأمر لا يستطاع تحديده بوصف مهما يولغ فيه، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**[٦٠]﴾.

مكتبة الجامعة الإردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فقد جاء الاسم الموصول (ما) للدلالة على عظم أعمالهم وكثرتها.

وكأن الآية تشير ــ من جانب ثان ــ إلى أن هؤلاء المؤمنين حريصون على إخفاء أعمالهم خوفاً من الرياء.

ويقول ابن عاشور "وإنما عبر بـــ "ما آتوا" دون الصدقات أو الأموال ليعم كل أصناف العطاء المطلوب شرعاً وليعم القليل والكثير، فلعل بعض المؤمنين ليس له من المال ما تجب فيه الزكاة وهو يعطي مما يكسب".(١)

هـــ. المعرف بأل:

يستخدم القرآن التعريف بأل، للعهد حيناً وللجنس حيناً آخر.

١. ومن أجمل مواقعها أن تأتي لاستغراق خصائص الجنس.

ففي قوله تعالى: ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**[٧]﴾ جاءت كلمة العادون معرفة بأل لتشير إلى أن هؤلاء الذين يقترفون جريمة الزنا هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه المستكملون لخصائص جنسهم فيه؛ لأنهم يهدمون أساس المجتمع وهو الأسرة، وقد جسّد عظم خطرهم تعاضد اسم الإشارة والتعريف وتوسط الضمير.

وفي قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**[٧٠]﴾ جاءت كلمة الحق معرفة بأل، تعظيماً لهذا الحق، وكأنه لا حق إلا هذا الحق الذي جاء به محمد ﷺ، فهو الحق الكامل المتناهي في الكمال كما تشير إليه آل الجنسية.

ويقول تعالى: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ**[٧٤]﴾.

وما قلته عن الحق ينطبق على (الصراط).

وفي قوله تعالى: ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**[٩٢]﴾ جاءت كلمتا (الغيب) و (الشهادة) معرفتين بأل لتفيدا الاستغراق الحقيقي، أي عالم كل مغيب وكل ظاهر.

وفي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**[٥١]﴾ جاءت كلمة الطيبات معرفة بأل لتفيد الاستغراق لكل طيب من الطيبات؛ وقد جاء الأمر بالأكل من الطيبات في أكثر موضع من القرآن، ولكن القرآن نوع في الأسلوب تبعاً للمخاطب. وسأعرض هذه المواضع، لأبين تفرد سورة (المؤمنون) في خطابها.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص ٧٧.

فعندما خاطب الناس جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، جاء الخطاب ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة:١٦٨]، فلو وقفنا عند (مما في الأرض) لجاز لنا أن نأكل الطيب والخبيث، ولكن (حلالاً طيباً) قيدتا هذا الأكل، و (ما) في (مما) نكرة.

أما عندما خاطب الله المؤمنين خاصة قال ــ عز من قائل ــ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾[البقرة:١٧٢]، حيث جاءت كلمة (طيبات) معرفة بالإضافة لا بذاتها، "والرزق شرعاً عند أهل السنة كالرزق لغة .. فيصدق اسم الرزق على الحلال والحرام ولا يقبل الله إلا طيباً"(١)، إذاً فالمؤمنون مأمورون بأن يبحثوا عن طيب الرزق لا خبيثه.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إذاً فالآية السابقة تحدثت عن رزق طيب ورزق غير طيب، ولكنها بدأت بالطيب مراعاة للمخاطبين، ولكن عندما خاطب الله الرسل عليهم السلام، وهم قدوة البشر، وأعلى وأسمى مراتبهم، لم يرد في الآية ذكر لخبيث الطعام، وجاءت كلمة (الطيبات) معرفة بأل لتشمل الطيبات كلها (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ...) فهم مأمورون بأن يأكلوا من الطيبات، المتناهية في الطيب، كما تدل على ذلك (أل) التعريف وهذا من دقة التعبير القرآني.

٢. القَصْر:

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١٠٢]﴾ تعريف (المفلحون) يشير إلى قصر الفلاح على من ثقلت موازينه، ومثلها (أولئك هم الوارثون) تفيد بأنهم هم الذين يستحقون الوراثة لا غيرهم، كما أنها تشير إلى تعظيم هذه الوراثة.

و. الاسم المضاف إلى معرفة:

وقد جاءت الإضافة في سورة (المؤمنون) لأغراض أخرى غير مجرد التعريف ومن هذه الأغراض:

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١. التعبير عن قوة العلاقة بين المضاف والمضاف إليه:

ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ[٢]﴾، "فإن قلت: لم أضيفت الصلاة إليهم؟ قلت: لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له، فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته، وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة إليها، والانتفاع بها".(٢)

وتأمل في آيات السورة الكريمة [٥٧-٦٠] تجد كلمة ربهم تكررت أربع مرات معبرة بهذه الصيغة وهذا التكرار عن قوة العلاقة بين هؤلاء المؤمنين ومربيهم ومتولي أمورهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ **أم لم يعرفوا رسولهم** ﴾ جاءت كلمة (رسولهم) لتعبر بهذه الإضافة عن أن هذا الرسول منهم وقد عاش بينهم، وكأنه ملكهم، فلماذا أنكروا رسالته.

---

(1) الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص ٩٩.
(2) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص ١٧١.

٢. تشريف المضاف إليه:

في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوْنِ** ﴾ جاءت كلمة رب مضافة إلى ضمير (كم)، وفي هذه الإضافة تشريف للمضاف إليه، لحثه على الامتثال لأمر الله.

٣. توسيع المعنى:

في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**[٥٠]﴾ جاءت كلمة ذات مضافة إلى قرار (وهي نكرة) وهذه الإضافة تحمل عدة معان، وهي "مستقر من الأرض، مستوية، منبسطة، سهلة، أو ذات ثمار يستقر لأجل ثمارها ساكنوها فيها".(١)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وما كانت اللفظة تحتل كل هذه المعاني، لو لم تكن مضافة، حيث لو جاءت بدل (ذات قرار) منبسطة أو مستوية أو مثمرة ...، لما شملت هذه الكلمات المعاني الأخرى التي شملها التعبير القرآني.

- **٣. الجموع**

لقد أحصيت في سورة (المؤمنون) (٥٩) كلمة، مجموعة جمع مذكر سالماً بينما أحصيت في سورة النور (٣٢) جمع مذكر سالماً، وفي سورة الفرقان (١٥) جمعاً.

---

(1) ابن عجيبة الحسني، البحر المديد، ط١، ٨م، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٥، ص ٢٠.

إذاً فقد أكثرت سورة (المؤمنون) من الجموع المذكرة السالمة، وتعليل ذلك الإكثار يعود أولاً: إلى أن القرآن الكريم، حريص على أن يخاطب روحاً جماعية لا فردية؛ لأنه يريد أن ينشئ أمة مسلمة متحدة متميزة، لا أفراداً مؤمنين متفرقين ويعود ثانياً إلى أن هذا الإكثار يتسق مع اسم السورة وموضوعها؛ فاسم السورة (المؤمنون)، وهو جمع مذكر سالم. وهذه السورة تتحدث عن الفئة المتميزة في إيمانها وصفاتها، وفي مقابلها الصفة المتجبرة في طغيانها؛ والحديث عن هاتين الفئتين، يطلب استخدام الجموع المذكرة السالمة.

وقد جاء أكثر هذه الجموع عند الحديث عن الكافرين (٣٢) جمعاً، في مقابل (١٨) جمعاً يتعلق بالمؤمنين، وهذا يعود إلى أن الحديث عن المؤمنين، حديث عن الإيجابية، وهذا يكفي فيه الإشارة وبيان الخصائص العامة؛ أما الحديث عن الكافرين، فهو حديث عن حالة مرضية، تستدعي علاجاً ودراسة ونقاشاً وحواراً لذا كثرت الجموع عند الكافرين.

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ورد في السورة تسعة من الجموع المذكرة السالمة عند الحديث عن الذات الإلهية وهي "غافلين، لقادرون (مرتين)، لمبتلين، أحسن الخالقين، خير المنزلين، خير الرازقين، خير الراحمين (مرتين)".

والتعبير عن الذات الإلهية بصيغة الجمع، هدفه تعظيم الرب ــ جل جلاله ــ كما أنه يتسق مع الجموع المذكرة السالمة التي أكثرت منها السورة؛ بينما في سورة النور والفرقان ــ اللتين أقلتا (نسبيا) من الجموع المذكرة ــ لم يرد فيها جمع مذكر سالم مستعمل في حق الذات الإلهية.

وبما أنه لكل سورة شخصيتها وتفردها وتميزها؛ فقد ورد في هذه السورة جموع لم ترد في غيرها، وهي (لمبتلين، ناكبون، العادين، كالحون)، والأخيرة (كالحون) هي الوحيدة التي لم يرد في القرآن كلمة من جذرها.

ومن الجموع التي تفردت بها السورة أيضاً، جمع المؤنث السالم (همزات) وجمع التكسير (أنساب).

وسأضرب مثالين للاستخدام المتميز للجموع في هذه السورة.

ففي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**[٩]﴾ جاءت (صلواتهم مجموعة، بينما جاءت في الاية الثانية من السورة مفردة ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**[٢]﴾، وذلك لأن هذه الآية تتحدث عن الخشوع، وهو مطلوب في جنس الصلاة بغض النظر عن أعدادها، أما الآية التاسعة فالمقصود منها المحافظة على أعدادها، وهذا يناسبه الجمع.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ورد في سورة المعارج قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**[٣٤]﴾ حيث جاءت (صلاتهم) مفردة، بينما جاءت (صلواتهم) في (المؤمنون) مجموعة؛ وهذا يعود إلى أن الصفات التي في (المؤمنون) أعلى من الصفات التي في (المعارج) فالمحافظة على الصلوات، أعلى من المحافظة على الصلاة؛ لما في الصلوات من تعدد وتنوع وفرائض وسنن.

والذي يدل على أن صفات (المؤمنون) أعلى من صفات (المعارج)، الجزاء الذي ختمت به الأوصاف؛ ففي (المؤمنون) ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ**[١٠] **الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**[١١]﴾، أما في المعارج، فكان الجزاء ﴿**أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ** [٣٥]﴾ .

٢. في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**[٨]﴾.

"جمعت الأمانة دون العهد، قيل لأنها متنوعة متعددة جداً، بالنسبة إلى كل مكلف من جهته تعالى، ولا يكاد يخلو مكلف من ذلك، ولا كذلك العهد".[١]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: بنية الأفعال

- **١. الماضي والمضارع والأمر:**

(1) الآلوسي، روح المعاني، م٩، ج١٨، ص ١١.

لقد جاءت أكثر أفعال السورة أفعال ماضية؛ حيث تواترت نحو (١٢٥) مرة ويليها الأفعال المضارعة نحو (٩٨) مرة، وأما أفعال الأمر فقد كانت قليلة الورود؛ حيث تواترت نحو (٣٢) مرة؛ وهذا التواتر القليل لأفعال الأمر مرده إلى أن هذه السورة الكريمة سورة مكية تعنى بأمور العقيدة وترسيخها في النفوس، فناسب ذلك أن يستخدم معها أفعال ماضية ومضارعة، أما في الفترة المدنية ــ بعد أن رسخت العقيدة في النفوس ــ فنزل التحليل والتحريم والتشريع، وهذا يناسبه افعل ولا تفعل.

أضف إلى ذلك أن منهج القرآن الحكيم، لا يصوغ تشريعاته كلها بأفعال أمر أو نهي، وإنما ينوع في أساليبه، مراعاة للنفس الإنسانية المجبولة على حرية الاختيار. انظر مثلاً كيف فرض الصيام ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (١٨٣البقرة)حيث استخدم القرآن الفعل الماضي المبني للمجهول لا الأمر.

وفي الآيات الأولى من سورة (المؤمنون) [١-١١] نرى أنه لم يرد فيها فعل أمر واحد، بل نجد فيها قلة الأفعال بأنواعها؛ ثلاثة افعال ماضية، وفعلان مضارعان وكانت أكثر الجمل اسمية؛ لأن هذه الآيات تتحدث عن صفات ثابتة راسخة لفئة متميزة من البشر، وهذا الثبات يناسبه الجمل الاسمية.

بينما في الآيات التالية من (١٢-٢٢) وهي الآيات التي تتحدث عن آيات الله في الخلق، نجد تواتراً للأفعال أكبر؛ حيث ورد فيها (١٣) فعلاً ماضياً، و (٧) أفعال مضارعة الماضية تذكر بنعم مضى عليها الزمن، والمضارعة تذكر بنعم متجددة مستمرة.

أما الآيات من (٢٣-٥٤) فنرى فيها كثرة في الأفعال الماضية (٤٨) فعلاً وقلة في المضارعة (١٨)، وكثرة نسبية في افعال الأمر (١٣) فعلاً؛ لأن هذه الآيات تسرد قصصا تاريخياً مضى عليه الزم؛ فناسب ذلك الفعل الماضي، أما أفعال الأمر فمعظمها يدور بين ما أمر الله به أنبياءه، وهم يواجهون الكفار وما دعا به الأنبياء ربهم وهم يعاينون الأخطار. فمن الأول ورد "اصنع، اسلك، فقل، فقل، كلوا، واعملوا، فاتقون، ذرهم" ومن الثاني " انصرني، انزلني، انصرني".

وعند النظر في الآيات من (٥٥-٩٨) نرى كثرة من الأفعال المضارعة (٥٤) فعلاً في مقابل (٣٢) فعلاً ماضياً و (٩) أفعال أمر. وهذا راجع إلى أن هذه الآيات تخاطب كفار قريش، فناسب أن تكثر فيها الأفعال المضارعة، فهي تناسب الزمن الحاضر كما ناسب ذلك أن يتكرر فعل الأمر (قل) المناسب للجدل والخطاب (٥) مرات.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي الآيات (٩٩-١١٨) نجد وفرة في الأفعال الماضية (٢٨) فعلاً، وأقل من المضارعة (١٤) وعدداً لا بأس به من أفعال الأمر (٧) مرات؛ ومن المعلوم أن هذه الآيات تبين حال الكفار والمؤمنين يوم القيامة. وقد أكثر القرآن من الأفعال الماضية مع أن يوم القيامة أمر مستقبلي، ليعبر بذلك عن تحقق وقوعه، ليحدث بعد ذلك أثره في النفس؛ فكأن الدنيا قد طويت، والقيامة قد قامت، وأصبحت الدنيا حديث ذكريات. ومن أفعال الأمر التي تكررت في هذه الآيات، الفعلان (اغفر، وارحم) حيث تكررا مرتين، معبدين بهذا التكرار عن حاجة المؤمنين في هذه الدنيا، إلى هذا الدعاء الذي يجبر التقصير، الناتج عن الضعف البشري.

ونقف الآن مع بعض الأمثلة المتميزة لاستعمال الأفعال في السورة.

في قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**[١]﴾ عبر عن فلاح المؤمنين بفعل ماضٍ ليفيد تحقق وقوع الفلاح، فكأن الرجاء الذي ختمت به سورة الحج (لعلكم تفلحون) قد تحقق في هذه السورة (قد افلح المؤمنون).

في قوله تعالى: ﴿**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً**[٥٣]﴾ جاء الفعل تقطعوا بدل قطعوا "إشارة إلى أنهم هم الذين تقطعوا، لا أن الأمر هو الذي تقطع، وذلك أنهم بهذا الخلاف الذي وقع بينهم، قد أوقعوا الضرر بأنفسهم، فكان بينهم الصراع والقتال"(١)، زد على ذلك أن التضعيف في الفعل يؤكد الشتات والفرقة بينهم.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**[٧٦]﴾ عبر عن عدم استكانة الكافرين بفعلين: ماض ومضارع، ليعبر بذلك عن شدة تجبر هؤلاء المجرمين.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هذا التجبر الذي شمل الماضي والحاضر، وأول وقوعه بهم واستفصاله فيهم.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ** [٢٠]﴾ (تخرج) لا خرجت تعظيماً لهذه الشجرة، وكأننا نراها الآن بأعيننا وهي تنشأ في هذا الجبل المبارك، فالفعل المضارع يرسم صورة للشجرة مجللة باستمرار بالبركة.

وفي قوله تعالى: ﴿**مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ** [٤٣]﴾ يقول البقاعي: "ولعله عبر بالمضارع إشارة إلى أنه ما كان شيء من ذلك ولا يكون".(٢)

---

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٥م، دار الفكر العربي، ١٩٦٧م، م٣، ص ١١٤٥.
(2) البقاعي، نظم الدرر، م٥، ص (٢٠١).

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا [٦٠]**... ﴾ "والتعبير بالمضارع فيها للدلالة على الاستمرار"[(١)] وهذا الاستمرار في عمل الطاعات صفة من صفات الذين يسارعون إلى الخيرات. ﴿**أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ[٦١]**﴾ وبناء الفعل (يسارعون) أبلغ من (يسرعون) لأن الأول يدل على التنافس في الوصول إلى الخيرات.

- **٢. البناء للمجهول:**

لقد ورد الفعل المبني للمجهول في سورة (المؤمنون) في عدة مواضع (١٤) موضعاً والقرآن يهدف من وراء هذا الاستعمال تحقيق عدة أغراض منها:

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أ. تعلق الغرض بغير الفاعل:

عند النظر في الأفعال المبنية للمجهول في السورة، نجد معظمها ورد عند الحديث عن يوم القيامة؛ لأنه يوم ينصرف له فكر الإنسان ووجدانه، فلا يتعلق بالبحث عن الفاعل كما أن القرآن حريص على أن يظل الذهن مرتبطاً بهذا الحدث، بغض النظر عن الفاعل ليظل هذا الحدث راسخاً في النفس. ومن هذه الأفعال التي وردت في السورة ما يلي:

(تُبعثون، توعدون، يظلمون، تحشرون، وُعدنا، يبعثون، تتلى، نفخ، ترجعون)، وكلها وردت في سياق الحديث عن الآخرة.

ومن المواطن التي جاء فيها الفعل مبنياً للمجهول، لعدم تعلق الغرض بالفاعل، ما ورد في قوله تعالى عن الأنعام ﴿**وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ[٢٢]**﴾؛ حيث جاء الفعل (تحملون) مبنياً للمجهول، لأن غرض الآية إثبات فضل الله على الإنسان بنعمة الحمل،

(1) الألوسي، روح المعاني، م٩، ج١٨، ص ٤٤.

بغض النظر عن الحامل؛ لأنه قد يقول قائل في هذا العصر: ولكن معظم الناس اليوم لا يركبون الإبل ولا الخيل؟ فأقول: إن مجيء الفعل (تحملون) مبنياً للمجهول، جعل القارئ يفكر في الفعل وهو الحمل، وفي المحمول وهو الإنسان، بغض النظر عن الفاعل، لأن وسائل الحمل كثيرة، تشمل الدواب وغيرها من وسائل النقل الحديثة. (١)

ومن الأغراض أيضاً، إفادة العموم والاختصار.

ففي قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**[٨٨]﴾ "بُني فعل (يُجار عليه) للمجهول لقصد انتفاء الفعل عن كل فاعل، فيفيد العموم مع الاختصار". (٢)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(1) لقد جاءت نعمة حمل الإنسان في القرآن مرتين في حالة البناء للمجهول، في الآية السابقة [٢٢] وفي سورة غافر آية (٨٠]، وجاءت نعمة الحمل مبنية للمعلوم، ولكن الحمل منسوب إلى الله جل وعلا، لأنه المسبب الحقيقي، في قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الاسراء:٧٠]، ففي هذه الآية، تعميم لسائر المركبات أو وسائل النقل. والموطن الوحيد الذي ذكرت فيه الدواب فاعلاً قوله تعالى: ﴿**وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [النحل:٧].

وقد جاء بعدها ما يشير ال وسائل النقل الحديثة ﴿**وَيَخْلُقُ مَالا تَعْلَمُوْنَ**﴾[النحل: ٨].

أما الفعل ركب ومشتقاته، فقد جاء مبنياً للمعلوم؛ لأن فاعله هنا الإنسان وليس الدابة؛ لأن المقصود إظهار نعمة الركوب على الإنسان، وقد لاحظت أن مفعول ركب، ومشتقاته محذوف في كل المواضع، إلا في موضع واحد، وهو ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[النحل: ٨]، وقد جاء تذييل الآية ﴿**وَيَخْلُقُ مَالا تَعْلَمُوْنَ**﴾ مشيراً إلى ما سيجد من وسائل النقل الحديثة.

إذاً فخلاصة القول، إن الفعل (حمل) ومشتقاته، يأتي في القرآن مبنياً للمجهول عند الحديث عن الأنعام والفلك، ويأتي مبنياً للمعلوم عندما ينسب الحمل إلى الله (حملنا) وعندما يذكر في الآية ما يشير إلى وسائل النقل الحديثة ﴿**وَيَخْلُقُ مَالا تَعْلَمُوْنَ**﴾، أما الفعل ركب ومشتقاته فيأتي مبنياً للمعلوم، ويُحذف معه المفعول به (وهو الأنعام والفلك) الموطن الوحيد الذي ذكر فيه المفعول به، ذكر معه ما يشير إلى وسائل النقل الحديثة، وهذا من دقة القرآن العظيم، المنزل من رب عليم، يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، وهو أعلم بأسرار كتابه.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص ١١٢.

- **٣. الأفعال الخمسة:**

لقد أكثرت السورة الكريمة من الأفعال الخمسة، التي جاءت على وزن (يفعلون) و (تفعلون)، فقد أحصيت منها في سورة (المؤمنون) (٥١) فعلاً؛ (٤٠) منها يتعلق بالكافرين و (١١) بالمؤمنين.

وقد ذكرت سابقاً دلالة استخدام الجموع في السورة، والكلام الذي ذكرته عن جمع المذكر السالم، ودلالة استخدامه، ينطبق على الأفعال الخمسة المذكورة فلا داعي للإعادة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث: المستوى التركيبي

أولاً: التقديم والتأخير.

ثانياً: التوكيد والتكرار.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثالثاً: الذكر والحذف.

رابعاً: القصر.

خامساً: الفصل والوصل.

سادساً: الاستفهام.

سابعاً: الأمر والنهي.

ثامناً: النداء والترجي.

المستوى التركيبي

- **الجملة الاسمية والجملة الفعلية:**

يقول الدكتور أحمد أحمد بدوي عن الآية القرآنية ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**[هود:١]﴾ ذلك خير ما توصف به الجملة القرآنية، فهي بناء قد أحكمت لبناته، ونسقت أدق تنسيق، لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها أو لا تعيش مع أخواتها، حتى صار من العسير بل من المستحيل، أن تغير الجملة بكلمة، أو أن تستغني فيها عن لفظ، أو أن تزيد فيها شيئاً، وصار قصارى أمرك إذا أردت معارضة جملة في القرآن أن ترجع بعد طول المطاف إليها، كأنما لم يخلق الله لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ، وكأنما ضاقت اللغة، فلم تجد فيها، وهي بحر خضم تؤدى به تلك المعاني غير ما اختاره القرآن لهذا الأداء.

والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها، ليلقيه في النفس حتى إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى ظاهراً فيه المهم والأهم فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا معدى عنه، وإلا اختل وانهار".[١]

---

(1) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص (١٠٥).

بلغ عدد الجمل الفعلية في السورة الكريمة (٢٤٧) جملة فعلية، في مقابل (١٢١) جملة اسمية[١]، وعند التأمل في تواتر الجمل الاسمية والفعلية، نلحظ تفوقاً للجمل الإسمية على الجمل الفعلية عند الحديث عن صفات المؤمنين. ففي الآيات الإحدى عشرة الأولى من السورة بلغ عدد الجمل الإسمية (١١) جملة، في مقابل (٦) جمل فعلية. وفي الآيات من (٥٧-٦١) بلغ عدد الجمل الإسمية (٨) جمل في مقابل (٦) جمل فعلية؛ وتعليل ذلك يعود إلى أن الجمل الإسمية ــ كما هو معلوم ــ تدل على الثبات والاستقرار أما الفعلية فتدل على التجدد والحدوث، والآيات الكريمة السابقة تتحدث عن صفات ثابتة لفئة الصفوة المتميزة، فئة رسخت فيها أفعال الخير، فأصبحت صفات راسخة فيها، وهذا الرسوخ والثبات تناسبه الجمل الإسمية، ونلحظ في الآيات السابقة أن أخبارها أسماء لا أفعال وهذا أدل على الثبات.

جامعة مؤتة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن المواطن التي كثرت فيها الجمل الإسمية، دون أن تتفوق على الجمل الفعلية موطن القيامة في الآيات (٩٩-١١٨)، حيث بلغت الجمل الإسمية (٣٠) جملة، والفعلية (٤٣) جملة، وهذه الكثرة ــ مقارنة بمواضيع السورة الأخرى ــ تتفق مع ثبات النعيم أو الشقاء في الآخرة.

أما الجمل الفعلية فتكثر في مواطن آيات الله الكونية وقصص الأنبياء ومخاطبة كفار قريش، وقد ذكرنا دلالة هذا التواتر في المبحث السابق عند حديثنا عن الأفعال فلا داعي للإعادة.

---

(1) اعتمدت في إحصاء الجمل على كتاب (معجم إعراب الألفاظ والجمل في القرآن الكريم) لــ (أبو فارس الدحداح) ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٩، ينظر ص (٤٤٥-٤٥٦).

وهذه بعض الأمثلة من السورة الكريمة، تبين كيف يستخدم القرآن الجمل الإسمية ليعبر بها عن معاني الثبات والاستقرار.

ففي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** [٢]﴾، وصفٌ للمؤمنين بأن خشوعهم في الصلاة صفة ثابتة لهم، وليست صفة آنية، فهم فئة رسخ الإيمان في قلوبهم، لا فئة تعبد الله على حرف. وشبيه بهذه الآية الآية التي بعدها ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**[٣]﴾ وفي قوله تعالى ﴿ ...**بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**[٧١]﴾ عبر عن "إعراضهم بالجملة الإسمية للدلالة على ثبات إعراضهم وتمكنه منهم".(١)

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**[٦٠]﴾ "ولعل التعبير بالجملة الإسمية المخبر فيها بالوصف دون الفعل المضارع للمبالغة في تحقق الرجوع"(٢) ولعلّ هذا التعبير يدل على عمق إيمان هذه الفئة بيوم القيامة، هذا العمق الذي ينتج عنه أنهم ﴿**أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**[٦١]﴾.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(1) ابن عاشور، التحرير ...، م٩، ج١٨، ص ٩٥.

(2) الألوسي، روح المعاني، م٩، ج١٨، ص ٤٤.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أولاً: التقديم والتأخير

يقول سيبويه في معرض حديثه عن تقديم المفعول على الفاعل: "وهو عربي جيد كثير كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم".(١)

ويقول محمد عبد المطلب عن هذا الأسلوب "سبق أن أوضحنا أن الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها، وبرغم ذلك ترك لنا النحو رتباً تحفظ بالنسبة لهذه الأجزاء، والعدول عن هذه الرتب يمثل نوعاً من الخروج على اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية، ومن هنا وجه البلاغيون اهتماماً خاصاً لهذا المبحث ورصدوا كثيراً من التعبيرات التي توفرت فيها هذه الظاهرة، وما يمكن أن يفيد منه الدلالة، أو بمعنى أصح

(1) سيبويه (الكتاب) ج١، ص (٣٤).

ما يمكن أن تتغير به الدلالة تغييراً يوجب لها المزية والفضيلة"[١] وعن أهميته يقول عبد الجليل عبد الرحيم: "وهو من الأساليب البلاغية التي لها أثر واضح في الكشف عن دقائق المعاني وتجلية المستور منها وراء الألفاظ، الأمر الذي يظهر بحسن مراعته لما يقتضيه الحال، مقدرة المتكلم على استغلال الكلام في التعبير عن غرضه بأوجز عبارة وأحسنها وأشدها وقعاً في النفوس وأبلغها"[٢] "فمناحي الاستخدام في العربية مرتبطة بهواتف النفس وحاجات الناس، ونوازع الأفراد وميول الجماعة".[١]

"وتبرز جماليات التقديم إذا ما حصل في التقديم إبانة عن المعنى النفسي لدى المتفنن، وقوة العلاقة بين ما قدمناه والألفاظ الأخرى، ولا ينظر لجماليات التقديم والتأخير في الإطار الفردي للفظه المتقدمة، فلا تستحق لفظة التقديم على الأخرى كلفظة مفردة، ولكنها تستحق التقديم بعلاقاتها، وتآلفها مع الألفاظ الأخرى، والأصل في هذه العلاقات والرابط بينهما هو المعنى الذي يسير ترتيب الألفاظ، ويبني العلاقات في صورة منظمة دقيقة.

فالتقديم والتأخير سبب من أسباب جمال العبارة، وأما الجمال الحقيقي فهو جمال النظم، ويأخذ التقديم والتأخير موقعهما من الجمال أو القبح حسب موضعهما من النظم، فهما جميلان مقبولان إن ترابطا مع العناصر الأخرى المؤلفة للعبارة، وإن وظفا توظيفاً مناسباً بحيث يؤديان دورهما في توضيح المعنى، والكشف عن الأحاسيس والمشاعر وأما إن جيء بهما في غير موضعهما فإنهما يكونان مدعاة للقبح والنفور، ولا يفيدان شيئاً، بل

(1) محمد عبد المطلب (البلاغة والأسلوبية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص (٢٤٨).
(2) عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، ط١، مكتبة الرسالة، عمان، ١٩٨١م، ص (٣٣١).

إنهما يغيران المعنى النفسي ويحولانه إلى مدلول آخر يخالف ما يراد غالباً، فتخرج العبارة نتيجة ذلك واهنة النظم، مغايرة في مدلولها ما يراد".(٢)

كان أكثر صور التقديم في سورة (المؤمنون) يتعلق بتقديم الجار والمجرور على متعلقة؛ ثم بعد ذلك تقديم الظرف على متعلقة، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفاعل.

وكانت أكثر الأغراض التي جاء لأجلها التقديم والتأخير:-

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١. الاهتمام:

وهو أهم الأغراض، والآيات التي جاءت على هذا الغرض كثيرة؛ فمنها قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**[٧٠]﴾.

"وتقديم المعمول في قوله "للحق كارهون" اهتمام بذكر الحق، حتى يستوعي السامع ما بعده، فيقع من نفسه حسن سماعه موقع العجب من كارهيه، ولما ضعف العامل فيه بالتأخير قرن المعمول بلام التقوية".(١)

وفي قوله تعالى: ﴿**... فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**[٢٨] **وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**[٢٩]﴾ . قدم الثناء "الحمد لله" على الدعاء "رب انزلني".

---

(1) محمد بركات أبو علي، مقدمة في دراسة البيان العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٦، ص(٦٥).
(2) محمد غنام، (اسلوب التقديم والتأخير)، ص ٢٧.

لأن الأول ثناء على دفع الضر، والثاني دعاء لجلب المنفعة، وهو منهج قرآني.

وفي قوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**[٩٦]﴾.

"تقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام".(٢)

وفي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**[٢]﴾ قدم الجار والمجرور على الخبر للاهتمام بالصلاة، إشعاراً بأنهم شديدو التعلق بها. وما ينبطق على هذه الآية ينطبق على الآيات التي بعدها ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**[٤]﴾ وما بعدها.

وقد يكون مع الاهتمام غرض آخر، مثل قوله تعالى: ﴿**...كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ**[٤٤]﴾.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حيث إن "تقديم المفعول به (أمة) أفاد من الوجهة البلاغية، التشويق للمتأخر (الرسول والتكذيب)، والاهتمام بالأمة".(١)

وأحياناً يحتاج التقديم والتأخير إلى تدبر وتأن لاستخراج أسراره، فمن ذلك مثلاً قوله تعالى في سورة النمل: ﴿**لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[النمل:٦٨]، وقوله ﴿**لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[المؤمنون:٨٣].

فقدم (هذا) في الآية الأولى، وأخرها في آية (المؤمنون)، وذلك أن ما قبل الأولى ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ**﴾[النمل:٦٧]، وما قبل الثانية ﴿**قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾[المؤمنون:٨٢]، فالجهة المنظور فيها هناك كونهم

---

(1) ابن عاشور، التحرير، م٩، ج١٨، ص ٩١.

(2) ابو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص ٤٣٠.

أنفسهم وآباؤهم تراباً. والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث، ذلك أن البلى في الحالة الأولى أكثر وأشد، وذلك أنهم أصبحوا تراباً مع آبائهم. وأما في الثانية فالبلى أقل، وذلك أنهم تراب وعظام، فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البلى، ولذ قدم (هذا) في الآية الأولى لأنه أدعى إلى العجب والتبعيد".(٢)

٢. القصر:

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٩-٨٠].

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ففي الآيتين الكريمتين قدم المجرور للقصر، فإليه يحشر الخلق لا لغيره، وهو وحده المؤثر في تعاقب الليل والنهار، واختلاف هيئة كل منهما وخصائصه، لا الشمس أو الأرض.

٣. أن يلحق بالتأخير ضعف في التركيب:

ففي قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...[٣٣]﴾**.

"فقدم الجار الجار والمجرور [من قومه] لئلا يحال بين الصفة وما عطف عليها".(٣)

٤. الزجر عن المعاصي:

---

(1) خلدون صبح، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٩٥، ص ١٢٥.
(2) فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ط١، دار عمار، عمان ١٩٩٨، ص (٦٣-٦٤).
(3) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٤١.

في قوله تعالى: ﴿**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**[١٠٤]﴾.

قدمت الوجوه "لأنها أشرف الأعضاء، فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار".(١)

٥. التأكيد:

﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ**[٥٩]﴾.

يقول الرازي: "فإنه يفيد من التأكيد في نفي الشرك عنهم ما لو قيل (والذين لا يشركون بربهم) أو (بربهم لا يشركون) لم يفد ذلك".(٢)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن جوانب التقديم والتأخير ما يتعلق بارتباط الآيات بعضها ببعض، وهذا الجانب الجليل له نصيب في فصل الوحدة في السورة، فليراجع هناك.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص ٤٣٣.

(2) فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص ٣١١.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: التوكيد والتكرار

"إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه؛ فهو يؤكد في مواطن ما مراعياً موطناً آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به لانعدام

موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به بمؤكد واحد، لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. وكذلك في اختيار المؤكدات فهو يؤكد هنا بالنون المخففة مثلاً، وفي موطن آخر بالنون الثقيلة. وهنا بإنّ المشددة وفي موطن آخر بإن المخففة، ويستبدل حرفاً بحرف كل ذلك بحسب منظور فني كامل متكامل في كل القرآن، فجاء التوكيد كله في القرآن كله كأنه لوحة فنية واحدة، فيها من عجائب الفن ــ وليس فيها إلا العجيب ــ ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشاً، مقراً بعجز الخلق أجمعين، عن استخلاص عجائبه فضلاً عن الإتيان بمثله".(١)

ومن أساليب التوكيد التكرار وهو "أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل ... أو أي غرض من الأغراض".(٢)

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"والتكرار في القرآن الكريم ضرب مهم من إعجازه النظمي، ووجه بليغ من وجوه بلاغته، لذا وقع هذا الأسلوب في هذا الكتاب العزيز لغايات بلاغية دقيقة تفهم من السياق وتعرف من القرائن والأحوال".(٣)

وقد أكثرت السورة الكريمة من أساليب التوكيد، وكان أكثرها التوكيد بالجملة الإسمية ثم التوكيد بـــ (إن)، ثم ضمير الفصل، ثم (لام الابتداء)، ثم (أن)، ثم (لام القسم)، ثم (قد)، ثم (الحروف الزوائد) (ب) و (ما) و (مِن)، ثم التأكيد بالتكرار والتقديم والتأخير والنون المشددة.

---

(1) فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٢٣.

(2) بدوي طبانة، معجم البلاغة العربي، ط١، مجلدان، منشورات جامعة طرابلس، ١٩٧٧، م٢، ص ٧٥٠,١

(3) حسين الدراويش، النظم القرآني في سورة البقرة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦، ص ١٤٧.

وأول توكيد في السورة نراه في الآية الأولى منها ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**[١]﴾، فالقرآن يريد أن يؤكد على قضية جديرة بالتأكيد لأنها تشغل بال الناس جميعاً، ألا وهي الفلاح الذي يبحث عنه كل الناس، وإن اختلفوا في الطريق. ولكن هذا الطريق لا بد له من ابتلاء وتمحيص ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ**[٣٠]﴾ حيث جاءت جملة (وإن كنا لمبتلين) مؤكدة بمؤكدين (إن) المخففة) وبالفعل (كنّا) وفي هذا التوكيد تبصير بالطريق.

ومن مواطن التوكيد ما ورد على ألسنة الملأ، وهم بهذا التوكيد المكثف يحاولون ن يؤثروا في نفوس أقوامهم، فكأن ما يقوله الملأ أمر مبتوت فيه، لا شك فيه.

فانظر كيف يستخدمون أسلوب القصر و (إن) و (اللام) والجمل الإسمية والتكرار والباء الزائدة، ليؤكدوا أكاذيبهم ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**[٣٣] **وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ**[٣٤] **أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ**[٣٥] **هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ**[٣٦] **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**[٣٧] **إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ**[٣٨] ﴾.

ولم يجد النبي ﷺ أمام هذا التأكيد، إلا أن يرفع يديه إلى الله مستغيثاً: ﴿**قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ**[٢٦]﴾ فياتيه الرد من الله مؤكداً ــ مقابل تأكيداتهم ــ بلام القسم و (ما) الزائدة ونون التوكيد ﴿**قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ**[٤٠]﴾ وأعداء الله يستعملون القسم وسيلة للتأثير في نفوس أقوامهم، وهذا ما رأيناه في الآية رقم (٣٤)، والذي دلنا على القسم اللام الموطئة له في (لئن)؛ فعندما أقسموا على خسارة من اتبع النبي، أقسم الله على

هلاكهم ﴿**قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ**[٤٠]﴾ بينما عندما لم يستخدم قوم نوح القسم، جاء جواب الله لنبيه نوح خالياً من القسم ﴿ **فَأَوْحَيْنَا**... [٢٧]﴾.

وهذا يشبه ما قاله كفار مكة، حيث قالوا: ﴿**لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**[٨٣]﴾ فجاء كلامهم مبدوءاً بلام القسم، فجاء الإخبار عن عذابهم مبدوءاً بلام القسم ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ**...[٧٦] ﴾.

والسورة الكريمة تستخدم القسم في مواطن التأكيد على نعم الله العظيمة على عبادة النعم الدنيوية والنعم الدينية ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ**... [١٢]﴾ ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ**[١٧]﴾. ومن النعم الدينية ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً**... [٢٣]﴾ ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**[٤٩]﴾. وهما تمثلان نعمة الرسل ونعمة المنهج. اللتين لا حياة للإنسان بدونهما.

ومما جاء فيه التوكيد بالتكرير، قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**[٧٠] **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**[٧١]﴾.

حيث تكررت (الحق) ثلاث مرات، وتكررت (ذكرهم) مرتين، وفي هذا التكرار تأكيد على شناعة فعل هؤلاء الأقوام، وقلة عقولهم، فهم يكرهون ماذا؟ يكرهون الحق، ويعرضون عن ماذا؟ يعرضون عن شرفهم وعزهم (ذكرهم) يقول الشهاب الخفاجي "وأظهر في مقام الإضمار لأنه أظهر في الذم".(١)

(1) الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب، ج٦، ص (٥٩٣).

ومن مواطن التوكيد في السورة، تكرار كلمة (رب) في عدة مواضع، في الآيات (٨٦، (٩٣-٩٤)، (٩٧-٩٩)، (١٠٦-١٠٧).

ففي الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**[٨٦]﴾ "أعيد (الرب) تنويهاً بشأن العرش، ورفعاً لمحله، لئلا يكون تبعاً للسماوات والأرض وجوداً أو ذكراً".(١)

أما في الآيات التالية، فقد تكررت (رب) لإظهار مزيد من التضرع والتذلل إلى الله ــ عز وجل ــ لأن المواطن التي وردت فيها (رب)، مواطن جديرة بالتضرع إلى الله، وهذه المواطن هي: نزول العذاب، ووساوس الشيطان، ومجيء الموت، ودخول جهنم والعياذ بالله.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وللوقوف على أسرار التوكيد في هذه السورة الكريمة، نختصر كلاماً للدكتور فاضل السامرائي، وهو يقارن بين نصين من كتاب الله؛ أحدهما من سورة (المؤمنون)، وثانيهما من سورة الزمر.

يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ**[١٢] **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**[١٣] **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**[١٤] **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**[١٥] **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**[١٦]﴾ .

﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**﴾.[الزمر ٣٠-٣١]

وهنا سؤالان:

١. لِم قال في آية (المؤمنون) (لميتون) باللام، وقال في الزمر (ميتون) من دون لام؟.

٢. ولِم أكد الموت في آية (المؤمنون) بأن واللام، وأكد البعث بأن وحدها، مع أن الموت لا شك فيه، بخلاف البعث فإن هناك منكرين كثيرين له؟

لقد أكد الموت في (المؤمنون) بأن واللام، لأن سورة (المؤمنون) تكرر فيها ذكر الموت كثيراً (مغرقون، مُتم (مرتين)، نموت ونحيا، فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث، فكانوا من المهلكين، حتى إذا جاء أحدهم الموت) في حين لم يرد ذكر الموت في سورة الزمر إلا مرتين إنك ميت وإنهم ميتون، الله يتوفى الأنفس...).فاقتضى ذلك تأكيد الموت في سورة (المؤمنون) أكثر مما في الزمر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما لماذا أكد الموت بأن واللام، وأكد البعث بأن وحدها، في آية (المؤمنون) فيذكر الدكتور السامرائي عدة أسباب منها:

١. إن الإعادة أسهل من الابتداء في منطق العقل، وإن لم يكن على الله شيء أهون من شيء.

٢. إن ما ذكره الله من خلق الإنسان وتطويره، حتى صار مخلوقاً على أحسن هيئة، ربما يوحي أنه خلقه للخلود، وأعده للبقاء في هذه الدنيا، وأن الموت كأنه خلاف لما أعده له، ولذا اقتضى ذلك تأكيد الموت.

---

(1) ابن عجيبة، البحر المديد، م٥، ص ٣٤.

٣. إن الإنسان كثيراً ما يغفل عن الموت فينشغل بالحياة، فيعمل أعمال من لا يموت، فأكد له الموت تأكيد المنكرين لعله يرعوي. [١]

٤.ونضيف إلى ذلك أن المخاطب في الزمر هو النبي صلى الله عليه وسلم، بينما جاء المخاطب في (المؤمنون) عاماً، لذا لم يؤكد الموت في (المؤمنون) كما أكد في الزمر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(1) فاضل السامرائي، لمسات بيانية، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٩، ص ٨٦-٩٥ مع الاختصار.

ثالثاً: الذكر والحذف

تحدث عبد القاهر عن بلاغة الحذف عموماً فقال: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن، وهذه جملة قد تتكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر".(١)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"والحذف ايضاً من شجاعة العربية ... لأن وراءه اسراراً ومزايا يدركها الخبير بأساليب الكلام، البصير بطرق القول، فالمتكلم يطوي جزءاً من أجزاء الكلام، ولا يختل المعنى بهذا الطي، بل يزداد الكلام حسناً، وتكثر فوائده ومزاياه والخبير بطرق القول هو الذي يستطيع ممارسة هذا الفن من فنون الكلام، ويعلم مواطنه، ويعرف متى يستجاد، ويدرك أسباب الإجادة ... ودراسة الحذف في النظم القرآني تتطلب أذناً واعية، وعقلاً حاضراً، ونظراً ثاقباً، حتى يستطيع صاحب تلك الحواس النشطة المهيأة للإدراك، أن يدرك من أسرار الحذف في القرآن ما يشاء الله له أن يدرك".(٢)

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ص ١١٢.

(2) د. بسيوني فيود، من بلاغة النظم القرآني، ط١، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ١٩٩٢، ص (١٠٧).

أما الذكر، فإن القرآن يذكر أحياناً ما يبدو أن السياق يجيز حذفه، عندما يكون في هذا الذكر تثبيت للمعنى، وتعميق له في النفس، أو غير ذلك من أغراض ومعان.

فمن ذلك ــ مثلاً ــ ذكر الاسم الموصول مكرراً، عند سرد صفات المؤمنين، للاهتمام بكل صلة من صلاتها فلا تُذكر تبعاً بالعطف، وقد بينت ذلك في مبحث الاسم الموصول فلا داعي للإعادة.

وفي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**[٤٥] **إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ**[٤٦]﴾ ورد (وكانوا قوماً عالين) ولم يقل وكانوا عالين، ويعلل ابن عاشور ذلك بقوله "إن إجراء وصف على لفظ (قوم) أو الإخبار بلفظ (قوم) متبوع باسم فاعل، إنما يقصد منه تمكن ذلك الوصف من الموصوف بلفظ (قوم) أو تمكنه من أولئك القوم".(١)

وفي قوله تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ**[٨١] **قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**[٨٢]﴾ أعاد كلمة (قالوا) بهدف التعجيب من قولهم، فإن نظرة واحدة في هذا الكون العجيب، تجعل القول بعدم البعث عبثاً!

ومن استعمالات السورة لفن الحذف، ما ورد في قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**[١]﴾ حيث حذف متعلق الفلاح، ليشمل هذا الفلاح كل صور الفلاح المطلوبة والمرغوبة للمؤمنين.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**[٢٩]﴾.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص ٦٤.

"لم يذكر خبر غرقهم، إيماء إلى أنهم آل بهم الأمر إلى أن لا خبر عنهم بعد ذلك، وإعظاماً للقدرة وتهويلاً للسخطة، وتحقيراً لهم واستهانةً بأمرهم ... فالسكوت في هذه القصة عن هلاكهم أبلغ".(١)

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**[٤٩]﴾.

جاء ضمير لعلهم عائداً إلى غير مذكور في الكلام، واقول : إن في هذا الحذف فناً في الكلام، فكأن القرآن عندما يحذف المعاد عليه (وهم بنو إسرائيل) كأنه يعيد الضمير إلى موسى عليه السلام ليوحي بأن الكتاب الذي أنزل على موسى هو كتابهم، وكأن موسى وقومه شيء واحد؛ فتكريم موسى تكريم لهم.

وفي قوله تعالى: ﴿**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**[٧٢]﴾.

جاءت كلمة (خير) دون ذكر المفضول، تعظيماً لعطاء الله ــ جل وعلا ــ فلا وجه للمقارنة بين عطاء الله وعطاء العبد، لذا لم تقل الآية (خير من خراجهم أو عطائهم) بل حذف متعلق (خير) للإشارة إلى أنه لا وجود لعطائهم أمام عطاء الله.

وفي قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**[٩٦]﴾ لم يذكر معمول يصفون، وهو النبي ﷺ؛ وفي هذا أدب سامٍ في خطاب النبي ﷺ؛ لأن الأوصاف التي كان يصفه به الكفار أوصاف مشينة، فناسب ذلك أن لا يرتبط فعل الوصف بالنبي ﷺ، تنزيهاً لمقامه الشريف.

(1) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م١٥، ص ٣٠.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

رابعاً: القصر

"عرّف علماء البلاغة القصر بأنه: تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص".(١)

ويؤدي القصر غرضاً جوهرياً رئيسياً يتعلق بمعاني الجمل، وقد يختلف المعنى اختلافاً كلياً لتقديم كلمة أو تأخيرها.

وللقصر طرق كثيرة منها القصر بإنما، وبـــ (ما) و (إلا)، والعطف بـــ (لا) و (بل) و (لكن) وبتقديم ما حقه التأخير.

وقد جاء كثير من مواطن القصر في السورة الكريمة عند الحديث عن صفات المؤمنين فمثلاً في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**[٢]﴾ قدم الجار والمجرور على المسند (خاشعون) لإفادة الحصر، إيذاناً بأن لهم تعلقاً شديداً في الصلاة.

---

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ٩٤.

وما ينطبق على هذه الآية ينطبق على الآيات التي تليها [٣-٩] وهذا التقديم يوحي بتميز صفات هذه الفئة المؤمنة.

وقد تكرر هذا الأسلوب أيضاً في الآيات التالية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ**[٥٧] **وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**[٥٨] **وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ**[٥٩] **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**[٦٠] **أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**[٦١]﴾.

حيث قُدمت المجرورات على عواملها اهتماماً بمضمونها.

ومن مواطن القصر ما جاء متعلقاً بصفات الله جل وعلا، إعلاماً وتنبيهاً، بأنها مقصورة على ذاته ــ سبحانه ــ وأنه لا يشاركه فيها أحد؛ ومن هذه الآيات:

﴿ .. **وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**[٨٠]...﴾ ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**[١١٥] **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**[١١٦] **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**[١١٧]﴾.

ومن مواطن القصر ما يتعلق باليوم الآخر، حيث يختص الفوز بأهل الجنة، ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**[١٠٢]﴾ ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**[١١١]﴾.

حيث جاء ضمير الفصل للاختصاص، أي هم الفائزون، لا أنتم أيها الكافرون.

ومن مواطن القصر ما ورد على ألسنة الكفار وهم يجادلون أنبياءهم، ومن ذلك، ﴿ **وَمَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُم**﴾ تكررت مرتين في الآيتين [٢٤، ٣٣]، و ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ**

جِنَّةٌ[٢٥]﴾ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا[٣٧]...﴾ و **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ[٣٨]﴾**، و **﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ[٤٧]﴾**.

وهم بهذه الأساليب يحاولون أن يؤثروا في أقوامهم، وينتقصوا من قدر أنبيائهم ومن أتباعهم (لنا عابدون)، وأن يثبتوا عدم البعث **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ[٣٧]﴾** **﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ[٨٣]﴾**.

وهذا دأب أهل الباطل، يحاولون أن يروّجوا باطلهم بمعسول كلامهم، باستخدام أساليب التوكيد والحصر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إذاً لقد كان القصر متسقاً متناسقاً مع جو النص وقضاياه المطروحة؛ حيث رأينا كثيراً من أساليب القصر، جاءت لتثبت اختصاص المؤمنين بالصفات العالية، واختصاصهم بالفلاح في الآخرة.

وبعض أساليب القصر جاء على لسان الكفار، وهم يجادلون أنبياءهم، وهذا يعكس تفكيرهم السطحي، الذي يلجأ إلى التعميم، دون تبصر وتأن.

وبعض هذه الأساليب جاءت لتثبت اختصاص الله ــ جل وعلا ــ بالصفات الشريفة العالية؛ وقد جاءت هذه الصفات في معرض الرد على ادعاءات الكافرين الباطلة.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

خامساً: الفصل والوصل

يعرف القزويني الفصل والوصل، ويبين فضله بقوله:

"الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه، وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة، فن منها عظيم الخطر، صعب المسلك دقيق المأخذ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً، ورزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً، ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على

معرفة الفصل من الوصل، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك، إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه، وأن أحداً لا يكمل فيه، إلا كمل في سائر فنونها".(١)

ويعرفه الدكتور منير سلطان بقوله: "الفصل: قطع معنى عن معنى بأداة لغرض بلاغي. والوصل : ربط معنى بأداة لغرض بلاغي".

ويبين الهدف منه بقوله: "إبراز جمال المعنى لتحقيق كمال الفائدة".(١)

هناك حروف تستخدم في الربط بين المفردات والجمل، وهي حروف العطف. وهناك جمل يقوى الاتصال الداخلي بينهما فلا تحتاج إلى حروف عطف، وهناك جمل تتباعد فلا يتأتى الوصل بحروف العطف.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وإذا أنعمنا النظر في مفردات القرآن وجمله، ونظام ترابطه تجلى لنا العديد من الأسرار واللطائف التي تكمن وراء هذا النظم المعجز.

وهذه وقفة مع بعض الآيات في هذه السورة الكريمة، تجيب على السؤالين التاليين: لم استخدم القرآن هذا الأسلوب من الربط ولم يستخدم ذاك؟ ولم اختلف أسلوب الربط بين هذه الآية وتلك رغم تشابههما؟

يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ**[١٢] **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**[١٣] **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**[١٤] **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**[١٥] **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**[١٦]﴾ .

---

(1) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط١، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١١٩.

"تتحدث هذه الآيات الكريمة عن مراحل حياة الإنسان، منذ أن يخلقه الله من طين إلى يوم يبعث، ويُلحظ أن الآيات تستعمل "ثمَّ" للربط بين مراحل تطور الإنسان، إلا في المراحل التي يتم فيها تسويته إنساناً، هناك تتابع الفاءات في تلاحق لتدل على التعقيب والاتصال الزمني، لأنها المراحل الدقيقة في خلق الإنسان، وهي التي يتحول فيها من العلقة إلى الكيان البشري.

تأتي "ثم" مرتين في أول الآيات لتعطي إحساساً بالانفصال الزمني بين المراحل الأولى، ثم تأتي الفاءات لتعطي إحساساً بالتلاحق السريع في تلك المراحل المتصلة، التي يتم فيها تسوية الإنسان إنساناً، وهي المراحل التي لا يستطاع أن يميز بينهما انفصال زمني، لأنها تتم في قرار مكين بعيد عن المشاهدة المألوفة.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتعود "ثم" فتأتي ثلاث مرات، لتعود المراحل منفصلة كما بدأت.

إلا أن الفاء تظهر بينها في السياق من جديد لتؤدي دلالة الترتيب الذِّكري في قوله تعالى: ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾، بعد ذكر تسوية الإنسان، حين يشير السياق إلى العبرة من خلق الإنسان، وهي بيان قدرة الله .

والغرض البياني من هذا التنوع في استعمال "ثم" والفاء هو إبراز قدرة الله في خلق الإنسان في زمن قصير، لا يُنظر إليه بعيداً عن السياق، ولكن من خلال السياق ذاته".[٢]

---

(1) منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم، ط٢، دار المعارف الاسكندرية، ١٩٩٧، ص ٢١٩.

(2) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ط١، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ص ١٣٥-١٣٦.

ويرى الكاتب مصطفى حميدة أن دلالة التعقيب في الفاء ودلالة التراخي في "ثم" أمران نسبيان تحددهما مقتضيات السياق مقالاً ومقاماً، لذا فلا بد من التأمل في السياق الذي ورد فيه هذان الحرفان للوقوف على أسرار القرآن الكريم.

وللكاتب رأي في "أم" المنقطعة: "وعلى هذا يمكن القول: إن ما يجيء بعد "أم" المنقطعة لا يكون أبداً على معنى اليقين والتحقيق؛ لأن أسلوب الاستفهام قائم على معنى الشك ... فليس من الدقة العلمية القول بأن "أم" المنقطعة تؤدي معنى "بل" وقد لاحظت أن كل مواضع "أم" المنقطعة في القرآن الكريم، إنما خرج فيه الاستفهام عن معناه الحقيقي، لمعان أخرى تستفاد من السياق، والأغلب في هذه المعاني هو الإنكار"(١) والكاتب يرى أن أهم ظاهرة لافتة في (أم المنقطعة) هي أن القرآن يستخدمها في سياق الجدل القرآني للمشركين، وأن كل ما جاء بعد (أم) المنقطعة، إنما جاء على معنى الاستفهام، وأسلوب الاستفهام قائم على معنى الشك. (٢)

ويمكن أن نمثل على ما ذكره الكاتب بهذه الآيات الكريمة: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**[٦٨] **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**[٦٩] **أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**[٧٠]﴾.

ومن مواطن الوصل الدقيقة في السورة ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**[١٨] **فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**[١٩]﴾ حيث جاءت بالواو بينما جاءت في

---

(1) المرجع ذاته، ص ٢٧٩.

(2) ينظر المرجع السابق، ص (٢٧٤-٢٨٠).

سورة الزخرف بغير واو ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**[٧٢] **لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ**[٧٣]﴾.

ويعلل الفيروز آبادي هذا الاختلاف بقوله: "... وقال في هذه السورة (ومنها تأكلون) بزيادة الواو، لأن تقدير الآية: منها تدخرون، ومنها تأكلون، ومنها تبيعون وليست كذلك فاكهة الجنة، فإنها للاكل فقط، فلذلك قال (منها تأكلون)، ووافق هذه السورة ما بعدها أيضاً، وهو قوله ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ فهذا القرآن معجزة وبرهان".(١)

ومن مواطن الوصل والفصل ما ورد في الآيتين التاليتين: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**[٢٤]﴾ ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**[٣٣]﴾.

مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حيث جاءت الآية الأولى معطوفة بالفاء (فقال)، والثانية بالواو (وقال).

ويعلل الرازي هذا الاختلاف بقوله: "الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل. قال فما قال قومه؟ فقيل له: كيت وكيت، وأما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في هذه الواقعة هذا الكلام الحق وهذا الكلام الباطل".(٢)

ويقول البيضاوي: "لعله ذكر بالواو لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول ﷺ بخلاف قول قوم نوح حيث استؤنف به".(٣)

---

(1) الفيرزو آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٦٣م، ج١، ص ٣٣٠.

(2) تفسير الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ١٧م، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤، م١٢، ص ٩٨.

(3) تفسير البيضاوي، ج٢، ص ١٠٣.

ولكن العالمين الفاضلين لم يعللا سر هذا التفاوت، فلماذا لم تأت الآية الأولى بالواو والثانية بالفاء، أي بالعكس؟

أقول ــ والله أعلم بأسرار كتابه ــ: لو تأملنا في الآيتين الكريمتين، لرأينا الملأ في الآية الثانية أشد جحوداً وطغياناً (وتفصيل الاستدلال على ذلك مذكور في فصل الوحدة) لذا جاءت الآية معطوفة بالواو، لتصور بهذا العطف موقف هؤلاء الملأ من دعوة الرسول الكريم، فكأنهم لم يسمعوا مقالته، أو كأنها ليست جديرة بالرد، لذا لم يأت كلامهم مجرداً من العطف ليفيد المحاورة، ولم يأت معطوفاً بالفاء، ليفيد سرعة الرد، وإنما جاء بالواو، وكأن القرآن ينقلنا إلى موقف آخر، نرى فيه هؤلاء الملأ وهم يخاطبون قومهم ليؤثروا فيهم. وهذا من عظمة هذا الكتاب الذي يصور الموقف بزيادة حرف أو نقصانه.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن مواطن الوصل ﴿**حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**[٧٧] **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**[٧٨]﴾.

"العطف لا يحسن إلا مع المجانسة، فاي مناسبة بين قوله ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ**﴾ وبين ما قبله؟ الجواب: كأنه سبحانه لما بين مبالغة أولئك الكفار في الإعراض عن سماع الأدلة، ورؤية العبر، والتأمل في الحقائق، قال للمؤمنين: وهو الذي أعطاكم هذه الأشياء، ووفقكم عليها تنبيها على أن من لم يستعمل هذه الأعضاء فيما خلقت له، فهو بمنزلة عادمها".(١) ووافق على هذا الكلام البحر المحيط. (٢)

---

(1) تفسير الرازي، م١٢، ص ١١٥.

(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ١٠م، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ج٧، ص ٥٧٩.

وأحياناً يستخدم القرآن حرف الفاء ليعبر بها عن عدم تأمل المدعويين في الدعوة وسرعة جحودهم، وتكبرهم انظر مثلاً في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ**[٤٦]﴾ ﴿**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**[٥٣]﴾.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

سادساً: الاستفهام

"الاستفهام لا يقتصر معناه على مجرد طلب العلم بشيء نجهله، وإنما يتجاوز هذا المعنى التقريري إلى معانٍ مجازية يفهمها المتلقي من السياق اللغوي، واستبطان النص، وفقهه، وتأمله، وهذه المعاني الفنية ثرية ومتنوعة تتسع لشتى ضروب الفكر، ومختلف ألوان المشاعر".(١)

"ولإبراز جماليات هذا الأسلوب فإنه يكفي أن نشير إلى أن قيمته الجمالية التي يضيفها على النص، لما يتميز به من غزارته في الشحنة الانفعالية، وتلوين في الصوت؛

(1) عبد الفتاح عثمان، دراسات في المعاني والبديع، مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٨٢م، ص ٩٩.

لما في تنغيمه من خصوصية ... والاستفهام أظهر أساليب الإنشاء، لما فيه من قوة في الظهور، وحسن الدلالة، وهو أنسب للاستهلال به في اللغة الأدبية، لذلك فإننا نجد بعض السور افتتحت به".[١]

وعند التأمل في سورة (المؤمنون) نجد أن السورة قد أكثرت من استخدام أسلوب الاستفهام، إذ بلغ وروده (٢٢) مرة، بينما ورد هذا الأسلوب في سورة الحج ــ مثلاً ــ (٧) مرات، مع أنها أطول قليلاً، وهذا يعود إلى أن سورة (المؤمنون) سورة مكية تعالج قضايا العقيدة، وتنقض معتقدات المشركين؛ لذا فهي تكثر من أسلوب الاستفهام الإنكاري والتقريري؛ فالاستفهام التقريري يهدف إلى أن ينتزع الاعتراف من المخاطب ليلزمه بالحجة، وهذا الأسلوب أكثر تأثيراً في النفس وأشد ترسيخاً في العقل من الأسلوب الاخباري.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما الإنكاري، فيزيد على التقرير أنه أدل على ثقة المتكلم بنفسه فيما قاله؛ لأنه يلقي كلامه وهو يدرك أنه لو كان في كلامه أدنى ريب لرد عليه قائله جواباً على استفهامه والقرآن الكريم يحترم العقل الإنساني؛ فهو يريد منه أن يفكر ويتأمل، ولذا فإن القرآن يكثر من الأسئلة التي تشحذ التفكير.

وقد كان القرآن الكريم يخوض في مكة حرباً عقدية مع أناسٍ تجذرت عقيدة الشرك في نفوسهم، فكانوا بحاجة إلى وخزات توقظهم من غفلتهم، وتكسر الأغلال عن عقولهم.

وفي الآيات التالية ما يبين عن لفتات بلاغية في استعمال القرآن الكريم لأسلوب الاستفهام (٥) مرات، لإيقاظ القوم من ضلالهم، وسباتهم:

---

(1) الظاهر القطبي، الاستفهام بين النحو والبلاغة، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ١٩٨٧، ص ١٢٦.

﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**[٦٨] **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**[٦٩] **أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**[٧٠]﴾.

﴿**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**[٧٢]﴾.

ففي هذه الآيات الكريمة، سرد لموجبات ضلالهم ودحض لهم، ليس بطريقة إخبارية وإنما بطريقة الاستفهام الإنكاري التوبيخي، وكيف لا يوبخون؟ وهم سادة الكلام، وأرباب البلاغة، ثم يطعنون في القرآن: ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ؟**﴾ أم أنهم ألغوا عقولهم واتبعوا آباءهم، أم أنهم جربوا على محمد كذباً، فلماذا إذا سموه الصادق الأمين؟ أم أنهم يتهمونه بعقله؟ فلماذا ارتضوا بتحكيمه في الحجر الأسود؟ أم أنه محمداً ﷺ طلب منهم أجراً على دعوته؟ فلماذا إذاً الجحود والإنكار؟

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع رسائل الجامعية

والقرآن بهذه الاستفهامات يقرع حججهم وقلوبهم.

وشبيه بهذه الآيات، الآيات التالية: ﴿**قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**[٨٤] **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**[٨٥] **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**[٨٦] **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ**[٨٧] **قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**[٨٨] **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**[٨٩]﴾.

والقرآن بهذه الآيات ينطلق من مسلمات القوم ومقرراتهم ليصل إلى النتيجة التي يريدها ﴿**بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**[٩٠] **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**[٩١]﴾. وهو يصل إلى هذه المسلمات بالمزاوجة بين أساليب الاستفهام التقريري والإنكاري، منطلقاً من الأدنى إلى الأعلى (الأرض ← السماوات ← العرش العظيم ← ملكوت كل شيء ...).

وهي أسئلة لا تملك الفطرة الإنسانية إلا أن تجيب عنها بما أجاب به القرآن (سيقولون الله).

وأحياناً يستخدم القرآن الاستفهام الإنكاري في مواطن الآخرة، ليرسم صورة لهؤلاء القوم الغافلين، وهم يُسألون ويوبخون ﴿**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**[١٠٥]﴾ ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**[١١٥]﴾ وها هو القرآن يستخدم الاستفهام لينبههم إلى قصر الدنيا ﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ**[١١٢]﴾.

واحياناً يأتي الاستفهام على ألسنة الأنبياء وهم ينكرون على أقوامهم بعدهم عن الله ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ**[٢٣]﴾ ﴿**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ**[٣٢]﴾.

حيث استخدمت همزة الاستفهام لإنكار الواقع واستقباحه، لعل هذا الإنكار يحدث يقظة في نفوسهم.

وفي المقابل يلجأ اعداء الله لاستخدام هذا الأسلوب ليؤثروا في اقوامهم ترقيعاً لباطلهم. ﴿**أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ**[٣٥]﴾.

﴿**قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**[٨٢]﴾.

﴿**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**[٤٧]﴾.

والاستفهام في الآية الأولى كما يقول أبو حيان الأندلسي "استفهام استبعاد .. واستهزاء"[١] وفي الآية الثانية ينكر الكفار البعث ويستخدمون لهذا الإنكار لا همزة واحدة بل اثنتين.

وعند التأمل في الموضوعات التي ورد فيها الاستفهام، سنجد أنها موضوعات عظيمة تتعلق بالعقيدة، من إيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

سابعاً: الأمر والنهي

سبق أن ذكرت في مبحث الأفعال، أن افعال الأمر في السورة قليلة، مقارنة بالأفعال الماضية والمضارعة.

(1) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٧، ص ٥٦٢.

وأكثر أفعال الأمر تكراراً في السورة، الفعل (قل) حيث تواتر (١١) مرة وهذا التكرار له دلالتان، الأولى تذكير بمصدر (القول)، وأنه مِمن له الأمر والنهي.

والدلالة الثانية: تعظيم الكلام الآتي بعد (قل)، فهذه الكلمة (قل) تنبه المتلقي لاستماع الكلام الآتي، لأنه كلام عظيم فلْيرْعه سمعه، لأن فعل الأمر ذو قوة صدامية في التقرير والإثبات.

ومن الأمثلة على هذا الفعل: ﴿**قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ...**﴾ ﴿**سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ**﴾ ﴿**قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ**﴾ ﴿**قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ ﴿ **قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**﴾ والأمثلة على ذلك كثيرة.

محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وبعض أفعال الأمر جاءت خطاباً من الله لأنبيائهم، مثل (اصنع، فاسلك، كلوا، واعملوا، فاتقون، ذرهم، ادفع) وهي أفعال فيها إرشاد لهم في مسيرتهم في الحياة، وهي توحي برحمة الله بأنبيائه وأتباعهم.

ومن الأفعال التي جاءت من الله للكفار ﴿**قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**[١٠٨]﴾ .

وفعل (اخسؤوا) فعل فيه زجر للكافرين وشتم لهم، وإهانة وعدم استجابة، وتيئيس لهم من النجاة، وهو فعل موحٍ بجرسه.

أما أفعال الأمر التي جاءت على لسان الأنبياء وأتباعهم، فهي (اعبدوا، (تكررت مرتين)، انصرني (تكررت مرتين)، أنزلني، اغفر وارحم (مرتين)).

وهي أفعال يوحي تكرارها بقوة صلتهم بالله عز وجل، وحاجتهم إلى رحمته وحرصهم على دعوة أقوامهم.

أما بقية الأفعال فجاءت على ألسنة الكفار ﴿**فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ**﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا**﴾ ﴿**فاسْأَلِ الْعَادِّينَ**﴾.

حيث جاء فعلان يفيدان الترجي (ارجعون)، (أخرجنا) يوم لا ينفع الرجاء، وثالث يعكس حيرتهم في ذلك اليوم (فاسأل العادين). وهذه الأفعال تصور حال الكفار في الآخرة؛ ندمهم وحسرتهم. وكأنهم مشهد حاضر ماثل أمامنا.

أما النهي؛ في السورة فقليل، حيث لم يرد إلا في ثلاثة مواطن في الآيات التالية: ﴿**وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**[٢٧]﴾، ﴿**لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ**[٦٥]﴾. ﴿**رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**[٩٤]﴾.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتعليل ذلك أن القرآن الكريم يعلمنا أدب الخطاب مع الآخرين حتى لو كانوا كفارا. فالنفس البشرية يصعب عليها أن تغير ما تعودت عليه، لذا فهي لا تحب صيغة (لا تفعل) وتجد (افعل) أسهل عليها، والأذن البشرية لا تحب كلمة (لا).

كما أن في (الأمر) إيجابية في الفعل، أما النهي فيفيد الترك فقط؛ والقرآن حريص على أن يكون اصحابه إيجابيين فاعلين لا مجرد تاركين؛ كما أن الأمر بالشيء متضمن لنفي ضده. لذلك كله كان الأمر بالمعروف مقدماً على النهي عن المنكر في النظم القرآني (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر).

انظر مثلاً في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ**[٢٣]﴾. حيث خاطب نوح قومه بقوله (اعبدوا الله) ولم يقل (لا تعبدوا أصنامكم ودا وسواعاً ويغوث ويعوق وسنرا) وإنما قال لهم ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ وهو بهذا الأمر ينهاهم ضمنا عن عبادة أصنامهم، لكن نوحا عليه السلام لم

يصرح بذلك حتى لا يصطدم بحاجز الألفة الذي يقوى عند ذكر آلهتهم، وهو بذلك لا يساوم على مبدئه ــ وحاشاه ــ ولكنه يتفنن في عرض قضيته.

وعوداً على الآيات الثلاث، نرى الأولى تنهى نوحاً أن يخاطب الله جل جلاله في الذين ظلموا ﴿**وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾ وهو نهي تكرر أيضاً في سورة هود آية [٣٧]. وهذا النهي له دلالتان؛ الأولى أنه سينزل بقومه الكافرين عذاب شديد، فلا يشفع في رفع العذاب عنهم، فإنهم ليسوا أهلاً لذلك. والثانية: لجم لعاطفة الأبوة: التي ترق عند رؤية ابنه والأمواج تتقاذفه.

أما الآية الثانية ﴿ ﴿**لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ**﴾ فهو نهي يفيد التيئيس من حصول النصر، وهو نهي يرسم صورة لهؤلاء الكافرين وقد علت أصواتهم ضجيجاً بالجؤار، الذي يشبه الخوار، بل هو من جنسه.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما النهي الثالث، فجاء على لسان محمد ﷺ؛ ليوحي ببشاعة العذاب الذي ينتظر الكفار، هذه البشاعة التي تجعل خير الخلق يستعيذ بالله منها ﴿**قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ .

ونخلص مما سبق أن النهي في مخاطبة الكفار، اتخذ صورةً شديدة، حيث ارتبط بالجمع بين لا الناهية وإن المؤكدة.

ثامناً: النداء والترجي

"لم يرد من حروف النداء في النظم القرآني سوى (يا) خاصة، والغاية من النداء القرآني أن ينتبه المنادى فيصغي إلى ما يلقى إليه، لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامر

ونواه، وعظات وزواجر، ووعد ووعيد، ونحو ذلك مما أنطق بـــ كتابه، أمور عظام، ومعان ينبغي أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها".[١]

في سورة (المؤمنون) نجد أسلوب النداء قد ورد في (١٤) آية، وهو عدد كبير مقارنة بسور أخرى ففي سورة (النور) ورد النداء (٤) مرات، وفي الفرقان (٥) مرات، وفي الشعراء (٦) مرات) وفي الحج (٥) مرات، وفي النساء (٧) مرات.

ولعل هذا التواتر الكبير للنداء في سورة (المؤمنون) يعود إلى طبيعة الموضوع الذي تعالجه السورة الكريمة، فهي تعالج (قضية الفئة المتميزة في إيمانها، الفئة الرائدة) ومن أبرز صفات هذه الفئة، قوة اتصالها بالله عز وجل، فهي تستشعر قرب الله منها، لذا فهي لا تستخدم ياء النداء (التي تدل على البعيد) في ندائها.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهي تدعو ربها بصفة الربوبية، دون الألوهية؛ لأن الرب هو المربي والمتولي مصالح العباد، فهم بحاجة إلى من يتولى أمورهم، ويربيهم، وينصرهم على أعدائهم:

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ[٢٦]﴾

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ[٢٩]﴾

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ[٩٣]﴾

﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[٩٤] ﴾

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ[٩٧]﴾

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ[٩٨]﴾

---

(1) بسيوني عبد الفتاح فيود، من بلاغة النظم القرآني، ص ٢٣٤.

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ[١٠٩] ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ[١١٨]﴾ .

وبعض مواطن النداء في السورة تصور حسرة الكفار في الآخرة وندمهم وذلهم ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ[٩٩]﴾ ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ[١٠٦] رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ[١٠٧]﴾.

ومن مواطن النداء ما جاء على لسان نوح وهو يخاطب قومه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ[٢٣]﴾ فهو حريص على أن يستجيب له قومه لذا يبدأ خطابه معهم بنداء حنون (يا قوم) لعله يثير انتباههم وعواطفهم بهذا النداء الرقيق.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولأن هذه السورة سورة المميزين، فإن النداء من الله جاء مميزاً حيث لم يقل (ياأيها الناس، ولا يا أيها المؤمنون وإنما يا أيها الرسل كلوا من الطيبات...).

ومن الملاحظ على النداء في الآيات السابقة أن معظمه جاء في معرض قصص الأنبياء ومشاهد الآخرة، تقول الباحثة نوال سلطان:-

"للنداء علاقة وشيجة في موضوعان القصة القرآنية ودعامة أساسية في بناء القصص القرآني"(١)، وتقول: "النداء القصصي في القرآن الكريم نابض بالحركة والحياة والانفعال فآلام العذاب الشديد في الآخرة تبدو من صرخات إنسانية تلقي ظلها من خلال التعبير".(٢)

ومن مواطن الترجي ما ورد في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ[٩٩] لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ[١٠٠]﴾ فقد صورت الآيتان حال الكافر السيئة عند الموت، وساهم في رسم

(1) نوال سلطان، النداء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٥م، ص ١٤٠.
(2) المرجع ذاته، ص ١٣٤.

هذه الصورة استخدام النداء (رب) و (واو) التعظيم في (ارجعون) بما فيها من مد، يتناسب مع جو الحسرة، واستخدام أداة الترجي (لعل) والمد المنفصل في (لعلي أعمل).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الرابع: المستوى البياني

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أولاً: التشبيه والاستعارة.

ثانياً: الكناية والتعريض

المستوى البياني

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

"الجمال في القرآن وسيلة حيوية فاعلة لتحقيق أهدافه التي يرمي إليها، لذلك ليس الجمال في القرآن من أجل الجمال، أو الفن من أجل الفن، وإنما القرآن يؤلف بين الغرض الديني والجمال للتأثير في الفكر والوجدان، لإحداث الاستجابة الفكرية والنفسية، لتثبيت ما يهدف إليه القرآن من أغراض ومقاصد".(١)

أولاً: التشبيه والاستعارة

يُعد التشبيه والاستعارة من أبرز مواد التصوير الفني في القرآن الكريم، هذا التصوير الذي يعده سيد قطب الأداة المفضلة في أسلوب القرآن (٢)

وقد أكثر القرآن من هذا الأسلوب، لأن خالق الإنسان، يعلم أن الخطاب العقلي المعرفي وحده لا يكفي في التأثير والانجذاب، فلا بد معه من غزو لمناطق الشعور

---

(1) أحمد فتحي رمضان ،الاستعارة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، ص ٣٧٨.

(2) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ص ٣٦-٣٧.

الإنساني، وهذا يتم باستخدام التصويرات الرائعة، التي تثير الوجدان و تحدث التأثير والانجذاب؟

ويبين د. محمد أبو حمده دور التشبيه والمجاز في القرآن بقوله "إن التشبيه والمجاز في القرآن الكريم، قد استحضر الحقائق والأسرار العلوية، من خلال أقصى درجات الإشراق والتوهج، ووفرة الاحتمالات وقوة التكبير ودرجة الإحساس. وبقدر ما يكونه المرء من التهاب الطبع وحدة القريحة، بقدر ما يتغلغل في الأسرار، وبقدر ما تكون له ألمعية يقوى معها على الغامض ويصل بها إلى الخفي".(١)

وليس غرضي في هذا البحث أن أتحدث عن أقسام التشبيه والاستعارة، فهذه التقسيمات موجودة في مختلف كتب البلاغة، وإنما هي وقفات أمام تشبيهات السورة واستعاراتها نتحلى أسرارها وتميزها وتفردها. وهذا ما أظن أننا بحاجة إليه؛ أن لا نقف فقط أمام المظهر الخارجي للتشبيه والاستعارة، بل نحن بحاجة إلى أن نغوص في القاع، لنستخرج دررهما.

ونبدأ بالتشبيه "التشبيه من وسائل التعبير التصويرية يستمد قوته من الخيال، فكما أن الرسم والتصوير يعتمد على الأصباغ والأحجار التي تؤلف وتصقل لترمز إلى طبيعة جميلة، أو فتنة ساحرة أو عبقرية نادرة، نجد التشبيه يشاركهما في الإفصاح عن الفكرة والتعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذي يقابل تلك الأصباغ والأحجار ... والتشبيه اشبه بوسائل الإيضاح، ونماذج الدروس التي تسبق الشرح فتذلل ما عسى أن

(1) محمد أبو حمده، البهيج في أساليب البيان، ط١، دار عمار، عمان، ١٩٩٩، ص ٨١.

يكون من عسر في الفهم، وتثبت معانيها في الذهن، هذا إلى خلابة البيان التي تنبعث منه انبعاث السحر، فتفعل فعلها العجيب في النفس".[١]

تلحظ في سورة (المؤمنون) أن الاستعارات فيها أكثر من التشبيهات، ذلك أن الاستعارة كما يقول عبد القاهر الجرجاني:

"أمد ميداناً وأشد افتناناً، وأكثر جرياناً وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة، وابعد غوراً وأذهب نجدا في الصناعة وغورا، من أن تجمع شعابها، وشعوبها وتحصر فنونها وضروبها ...". [٢]

ومن روعة الاستعارة أنها تجمع بين الحقائق المتباعدة، وتجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وأنها تعطيه المعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة، وتعبر عن الغرض بتصوير بارع، له أثر في نفس السامع.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهذه وقفة مع بعض التشبيهات والاستعارات في سورة (المؤمنون).

يقول تعالى: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ**[١٠] **الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**[١١]﴾

يقول الطاهر ابن عاشور "واستعيرت الوراثة للاستحقاق الثابت؛ لأن الإرث أقوى الأسباب لاستحقاق المال"[٣]، وهذا يتفق مع رأي الألوسي. [٤]

إذاً فكلا العالمين وغيرهم من العلماء، اتفقوا على أن قوة التملك هو الجامع بين المشبه والمشبه به، وهذا جميل، ولكن ألا يمكن أن نلمح وجوهاً أخرى من الشبه؛ فمن

---

(1) عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ط ٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥، ص ١٠٦-١٠٧.
(2) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط١، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠١، ص ٣٩.
(3) ابن عاشور، التحرير، م٩، ج١٨، ص ٢٠.
(4) الألوسي، روح المعاني، م٩، ج١٨، ص ١٢.

ذلك أن الوارث يأخذ مال مورثه دون جهد أو نصب، وكذلك المؤمن ينال نعيماً عظيماً بعمل قليل، فكأن ما ناله إرثاً ورثه، يقول ﷺ: "**لن يدخل أحداً عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: لا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة. فسددوا وقاربوا...**". (١) **[رواه البخاري]**.

فعندما نقيس نعيماً عظيماً دائماً، بعمل قليل في زمن محدود، يتضح لنا وجه الشبه بين دخول الجنة، والمال العظيم الذي يناله الوارث دون مشقة ولا نصب؛ إذاً فالمعنى الذي يوحي به هذا التشبيه، عظم فضل الله على عباده في الآخرة.

وهناك معنى آخر وهو أن المال الموروث لا ينال إلا بعد موت الوارث، فالوراثة لا تحصل في حال حياة المورث؛ وكذلك المؤمنون لا يدخلون الجنة إلا بعد أن تنقضي الدنيا، فلا بد من فترة زمنية، يعيش فيها المؤمنون في دار المكابدة والبلاء، ولكن حقهم محفوظ عند الله. فكأن الآية تقول للمؤمنين: اصبروا في هذه الدنيا، فعما قليل ترثون جنة ونعمياً.

ومما توحي به كلمة (الوارثون) أيضاً شدة الفرح، حيث إن الإنسان يفرح بما يأتيه من مال وغيره دون تعب، ومشقة المؤمن في الدنيا لا شيء أمام جنة عرضها السماوات والأرض يقول الراغب الأصفهاني: "ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب قد ورث كذا".(٢)

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ط١، ١٥م، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٩٩٧م، ج١١، ص ٣٥٦.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٥٣٤.

وعوداً على المعنى الأول، فإن كلمة (الوارثون) توحي بمعنى قوة التملك، فهناك فرق بين أن نقول: فلان دخل الدار، وفلان ورث الدار، وهذا هو الفرق بين: يدخلون الجنة، ويرثون الجنة، والآية لم تقل يرثون الجنة، بل يرثون الفردوس وهي أعلى درجات الجنة، قال ﷺ: "**إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن**" **[رواه الشيخان]**. (١)

وهذه القوة في التملك، التي عبرت عنها الآية بالوراثة، تناسب قوة إيمان هذه الفئة المؤمنة المتميزة في إيمانها وصفاتها.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويمكن أن نرسم مخططاً لما ذكرناه سابقاً، يبين انفتاح المعاني التي جاء بها هذا التشبيه:

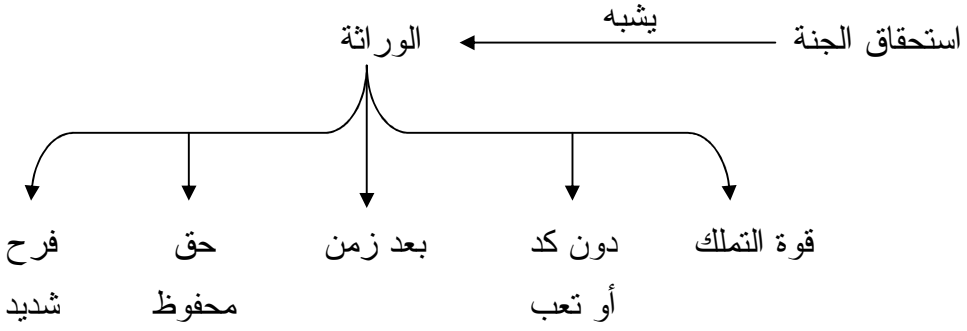

(1) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد الصابوني، ط٣، ٣م، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٣٩٩هـ، ج٢، ص ٥٦٠.

ومن تشبيهات هذه السورة، ما ورد في قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**[٤١]﴾.

شُبه الكافرون الظالمون بالغثاء. يقول ابن فارس "الغين والثاء والحرف المعتل كلمة تدل على ارتفاع شيء دني فوق شيء. من ذلك الغثاء: غثاء السيل".(١)

وفي لسان العرب: "الغُثاء ... ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره".(٢)

وفي القاموس المحيط: "القمش والزبد والهالك والبالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل".(٣)

"تبين لنا هذه الصورة الوضعية الأخيرة التي آل إليها هؤلاء القوم، فبعد أن كانوا أجساماً متكاملة الطراف، تغيروا بعد الصحية إلى أجزاء دقيقة متناثرة، لا معنى لها، فهي كالغثاء".(٤) وبعد أن كان لهم وزن عند قومهم، وكان علوهم بسبب كفرهم وطغيانهم، جازاهم الله بأن جعلهم كالغثاء، لا وزن لهم ولا قيمة؛ فالغثاء يحركه السيل حيث شاء،

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،٦م،دار الفكر، ١٩٧٩، م٤، ص (٤١٢-٤١٣).
(2) ابن منظور، لسان العرب، ١٥م، دار صادر ،بيروت، ١٩٦٨،م١٥، ص ١١٦.
(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط،ط٦،مؤسسة الرسالة،١٩٩٥م، ص (١٣١٧).
(4) أحمد الزهري بلخضر (التشبيه صورة الفاظه) ص ٦٥.

والغثاء وإن كان يعلو فوق الماء، فإنه زبد لا وزن له، وهذا يشبه حال هؤلاء القوم الظالمين، فهم وإن علوا قومهم، فإنهم لا وزن لهم ولا قيمة عند الله. ويمكن أن نرسم لهذا التشبيه مخططاً كالتالي:

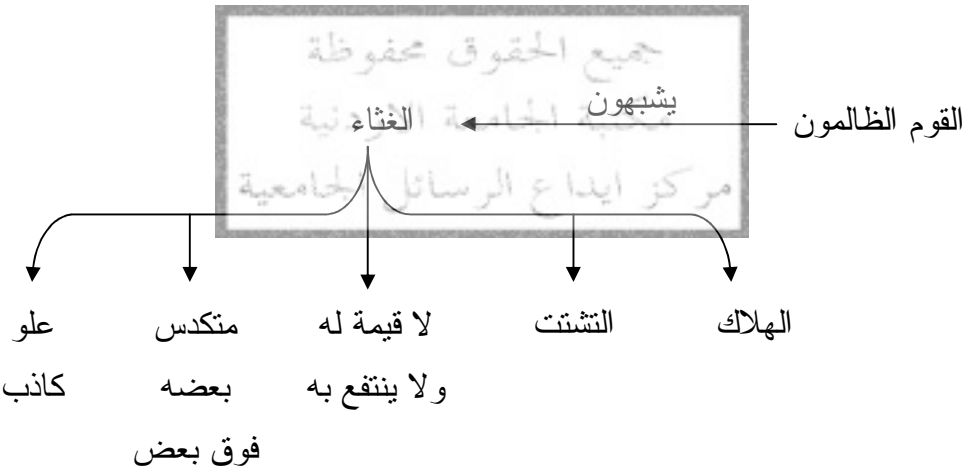

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن استعارات السورة، قوله تعالى عن الكافرين ﴿**فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ**[٥٤]﴾

حيث شبه حال الكافرين بحال الغريق، فالغمرة كما يقول الزمخشري: "الماء الذي يغمر القامة، فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم".[١]

وهذا التعبير الدقيق يشبه حال الكافرين الذين يعيشون في ضلال، بحال رجل غريق يحيط به الماء من كل جانب، فيأتي النبي ﷺ ليمد لهم يد النجاة فيأبوا! وهذه الحياة التي يعيشها الكفار، حياة قصيرة تشبه حياة الغريق داخل الماء، حيث تنتهي بانتهاء الهواء في رئته. [٢]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

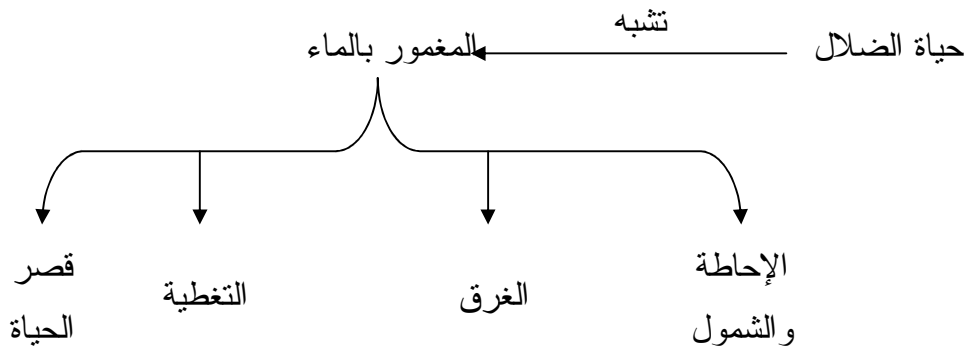

(1) الزمخشري، الكشاف، م٣، ص ١٨٦.

(2) جزء من كلام للشيخ محمد الشعراوي، مسجل على قرص مدمج للحاسوب.

وفي قوله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ**[٦٦]﴾

"شبه إعراضهم عن الحق بالراجع القهقرى إلى الخلف، وهو من قبيل الاستعارة التمثيلية".(١) وفي هذا التشبيه رسم لحركة حسية للارتداد المعنوي، مما يمنح الصورة حياة محسوسة.

وفي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**[١٣]﴾

"استعارة تصريحية فقد حذف المشبه وابقى المشبه به، والمشبه هو الرحم، وقد شبهه بالقرار أي بموضع الاستقرار".(٢)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وهو تشبيه يوحي بلطف الله سبحانه بهذا الإنسان وحفظه له.

وبعض استعارات السورة جاء ليجسم المعنويات والمعقولات، مما يمنح الكلام قوة وتأثيراً، لأن المحسوسات ألصق بالنفس من المعقولات؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ... [٧١]**﴾.

يقول القرطبي: "هو مجاز لو وافق الحق أهواءهم، فجعل موافقته اتباعاً مجازاً".(٣)

ومنه ﴿**حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**[٧٧]﴾.

---

(1) محمد الصابوني، صفوة التفاسير، م٢، ص ٢٨٨.

(2) محيي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ١٠م، دار الإرشاد، حمص، ١٩٩٩، ص (٥٠٠-٥٠١).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠م، جار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٢، ص ١٤٠.

"شبهت هيئة إصابتهم بالعذاب بعد أن كانوا في سلامة وعافية، بهيئة ناس في بيت مغلق عليهم ففتح عليهم باب البيت من عدو مكروه، أو تقول: شبهت هيئة تسليط العذاب عليهم بهيئة فتح باب اختزن فيه العذاب، فلما فتح الباب انهال العذاب عليهم".(١)

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**[٦٢]﴾.

في هذه الآية الكريمة يمكن أن نعد نطق الكتاب استعارة، حيث شبه الكتاب بإنسان ينطق بالحق، ويمكن أن يكون هذا النطق حقيقة، وهذا ليس بمستغرب على القدرة الإلهية، أو يمكن أن نقول: هو مجاز بالنسبة للناس، حقيقة بالنسبة إلى الله جل جلاله، يقول د. محمد بركات ابو علي: " ما جاء في كلام الله تعالى هو حقيقة بالنسبة إلى الله، وذلك أننا إذا قلنا: تحدثت الشجرة. فهذا حقيقة بالنسبة للقدرة الإلهية، لأن الله تعالى أمره لما يريد على غير ما يقع من الإنسان؛ إذ الإنسان لو أمر حجراً أن يتكلم فلن يحدث هذا ... ولذلك أيسر ما يقال: إن المجاز في فهم كلام الله تعالى، لا في الكلام نفسه، "فهو مجاز في معناه بالنسبة للناس، وحقيقة في ذاته من الله تعالى".(٢)

وهكذا فإن تشبيهات القرآن واستعاراته، ليست كأي تشهبيات واستعارات، إنها ذات أسرار وأعماق، تتجلى معانيها، بالإلحاح على الغوص وراء ما اختفى منها.

---

(1) ابن عاشور، التحرير، م٩، ج١٨، ص (١٠٢).

(2) عودة أبو عودة وآخرون، اللغة العربية (المستوى التأسيسي الأول)، ط١، مطابع وزارة الأوقاف، عمان، ١٩٩٠،فصل التعيين الثامن، ص ١٩٤.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً: الكناية والتعريض

الكناية في الاصطلاح: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ".[١]

أما التعريض فهو: "اللفظ الدال على معنى، لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي".[٢]

إذاً فالفرق بين الكناية والتعريض، أن الأخير يفهم معناه من السياق، لا بطريق اللزوم كما هو في الكناية.

وللكناية سحرها البياني، وتأثيرها القوي في النفس؛ فهي مع إمتاعها للنفس تمتاز بالإقناع، لأنها لا تأتي بالدعوى إلا ومعها دليلها، كما أننا نستطيع بوساطتها أن نعبر عن كثير مما نتحاشى التصريح به، كما أن من أسباب بلاغتها، أنها تضع المعاني في صورة المحسات، التي لها الأثر القوي في النفس.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولأسلوب الكناية نصيب وافر في كتاب الله، وللكناية في سورة (المؤمنون) أهداف متعددة وأسباب متنوعة، وأغراضها ذات شأن بعضها مما تدركه الأفهام، وبعضها مما يحتاج إلى أن تغوص فيه الأحلام.

١. قد تأتي الكناية لتصور المعنى المعقول، في صورة محسوسة، وقد عرفنا سابقاً ما للحسيات من أثر في النفوس.

انظر في قوله تعالى: ﴿ .... **فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ**[٤٤]﴾.

وهذا "كناية عن إبادتهم، فالمعنى جعلناهم أحاديث بائدين غير مبصرين".[١]

---

(1) القزويني، الإيضاح..، ص ٢٤٨.

(2) السيوطي، الاتقان...، ج٢، ص ٦٣.

يقول أبو عبيدة: "(وجعلناهم أحاديث) أي يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير جعلته حديثاً".(٢)

وانظر الفرق بين أن نقول جعلناهم غير مبصرين، وبين قولنا (جعلناهم أحاديث)؛ فهم في التعبير الثاني لم يبق منهم أثر، إلا ما يتناقله الناس على ألسنتهم، وشتان ما بين التعبيرين.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ في الآية رقم [٢٧] "كناية عن الشدة كقولهم (حمي الوطيس)" (٣) ولابن عاشور رأي آخر: "(وفار التنور) مثل لبلوغ الشيء إلى أقصى ما يتحمل مثله ... والمعنى بأن نفاذ أمرنا فيهم، وبلغوا من طول مدة الكفر مبلغاً لا يغتفر لهم بعد".(٤)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ[٣٣]**﴾.

نرى الكفار يصفون نبيهم بأنه بشر يأكل مما يأكل منه الناس، ويشرب مما يشرب منه الناس، وهم بذلك يقصدون أنه لماذا لا يكونون أنبياء مثله ما دام أنه مثلهم!.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ يصف الله المؤمنين بأنهم معرضون عن اللغو "كناية عن علو همتهم وكرامة نفوسهم"(٥) فالتعبير القرآني عندما أراد

---

(1) ابن عاشور، التحرير، م٩، ج١٨، ص ٦٢.
(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق محمد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٥٩.
(3) القاسمي، محاسن التأويل، م٥، ص ٢٣١.
(4) ابن عاشور، التحرير، م٩، ج١٢، ص ٧١.
(5) محمد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م١٥، ص ٩.

أن يصف المؤمنين بالجدية وعلو الأهداف، لم يأت بوصف عقلي مجرد، وإنما عبر عن ذلك بوصف محسوس حي، وهو الإعراض عن اللغو، فهم ينأون بأنفسهم عن مجالس السفاهة وساقط القول.

٢. الإيجاز:

انظر في قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**[٧]﴾.

حيث نرى التعبير القرآني قد عبر عن صور عديدة من الشهوات في غير ما أحل الله بكلمتين (وراء ذلك). وهو تعبير فيه تهذيب وسمو في القول، حتى لا تثير العبارات نزوات النفوس، وكوامن العواطف وسهام الغرائز.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وانظر في قوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**[٩٦]﴾.

في قوله "**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**" تعريض من جانبين، فهي تقول للنبي ﷺ : أدِّ دورك وقم بما هو مطلوب منك، ونحن نتكفل بأعدائك، فهذه العبارة تطمئن النبي وتهدد الكفار. فانظر كيف جاءت هذه العبارة موجزة الألفاظ متعددة المعاني. وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ**[١٧]﴾ ففي قوله تعالى ﴿**وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِين**﴾ إشارة إلى أن الله لا يغفل عن أمور عباده، فهو يرزقهم ويتكفل بأمورهم، كما أن أعمالهم لا تخفى عليه، فهي تبين فضل الله من جانب وتحذرهم من جانب ثان.

٣. التهديد المبطن:

في قوله تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ**[٤٨]﴾ "وفي هذا تعريض بتهديد قريش على تكذيبهم رسولهم ﷺ، لأن في قوله (من المهلكين) إيماء إلى أن الإهلاك سنة الله في الذين يكذبون رسله".(١)

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ**[٣٠]﴾ تعريض بطريقة مؤثرة تدفع السامعين من مؤمنين وكافرين إلى التفكير العميق فيما حل بقوم نوح، وأصحاب السفينة، ليأخذوا العبر والآيات. وهذا التعبير أسلوب قرآني ملحوظ في الآيات المبدوءة بـــ " **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ** ..." وهو أسلوب يليق بأدب القرآن.

وفي قوله تعالى ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ**[٣٨]﴾.

مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول محمد حسين فضل الله: "إنهم يحاولون التحدث بطريقة إيحائية، تمنع الناس من التفكير الموضوعي الهادئ، ولهذا فإنهم يصلون إلى النتيجة التي يريدون الوصول بالناس غليها مباشرة (**وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ**) فكيف تؤمنون به أنتم في الوقت الذي تعرفون فيه أننا مصادر القرار؟".(٢)

٤. تعظيم المكنى عنه:

انظر في قوله تعالى: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ**[٢٠]﴾.

---

(1) ابن عاشور، التحرير، م٩، ج١٨، ص ٦٥.

(2) من وحي القرآن، م١٦، ص ١٥٣.

حيث لم يذكر اسم الشجرة، وإنما كنى عنها بذكر أوصافها، وهو غموض لطيف يزيد الشجرة تعظيماً.

٥. من بدائع الكنايات في سورة (المؤمنون) ما ورد في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**[٥١]﴾.

حيث جاء الخطاب للرسل جميعاً أن يأكلوا من الطيبات؛ لأن الأكل لا ينافي الرسالة أو بتعبير آخر، البشرية لا تنافي الرسالة، وقد سردت السورة اعتراضات الكفار على بشرية الرسل (بشر مثلكم)، وقد جاء الحديث عن أكل الطيبات بعد الحديث عن عيسى عليه السلام، وكأنها بذلك تشير إلى أمرين: الاحتجاج على الرهبانية التي ترفض الطيبات، والثاني إثبات بشرية عيسى؛ لأنه يأكل وهذا الأكل ينتج عنه ما ينافي الألوهية.

مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وفي الآية تعريض آخر بقوله (إني بما تعملون عليم) وهو تذييل فيه ترغيب وترهيب.

الفصل الخامس :

الوحدة في سورة (المؤمنون)

أولاً : مقدمة تمهيدية

ثانياً : وحدة السورة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

*الوحدة في السورة الكريمـــــة :

مقدمـــــة تمهيديـــة :

يهدف هذا المبحث إلى الكشف عن بعض جوانب تماسك النص القرآني، على مستوى الآية والآيات والسورة كاملة.

يعرف الدكتور حسن محمد باجودة الموضوعية بقوله : " أن يكون العمل الفنـــي متماسكاً إلى أبعد درجات التماسك، بحيثُ أن كل جزئية تفضي إلى التي تليها، ولا يمكـــن حذف جزئية واحدة، لأن العمل الفني يستغني عنها أو إضافة جزئية أخرى يفتقر إليها"[١].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، فنختار لها هذا التعريـــف، الـــذي قدمـــه الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم : " الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية : هو التفسير الذي يتوجه فيه المفسر إلى الكشف عن الموضوع الذي تعالجه السورة، في ضوء معطيات آياتها المحكمة النسج، والارتباط بأسلوبها المتميز، وخصائصها المعجزة، بلوغاً إلـــى مقاصـــدها الهدائية[٢].

" وفكر القول بالغرض الوحيد في السورة فكرة عميقة الجذور في مفهـــوم علمائنـــا المتقدمين كالرازي والشاطبي، لكنها فكر نظرية لم تفرد لها جهود خاصة تبلورها وتمثـــل لها.. وقد عدّل المتأخرون.. مفهوم هذا القول ومنهج البحث فيه .. "[٣].

---

[1] محمد باجودة، الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، دار الكتب الحديثة، عابدين، ص ٢٦.

[2] عبد الجليل عبد الرحيم، التفسير الموضوعي للقرآن بين كفتي الميزان، ط١، ١٩٩١، ص٣٥-٣٦ .

[3] زياد الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ص ١٧٢-١٧٣ .

وقد أنكر هذا الاتجاه – الوحدة الموضوعية في السور – بعضُ العلماء المحدثين، ولست الآن في معرض مناقشة أقوالهم والرد عليها، فقد تكفلت بذلك بعض الدراسات[٤].

ولكن أقول : لو لم يكن للسورة القرآنية موضوع واحد تعالجه، وهدف ثابت ترمي إليه، كما جاء القرآن مرتباً على هذه الصورة التي جاء عليها ، لماذا نجد سورة تحتل جزئين من القرآن وأكثر، وسورة تكتب في سطر واحد؟ أما كان يمكن أن يأتي القرآن مرتباً – مثلاً – على هيئة أجزاء وأحزاب وآيات متتاليات، دون أن تفصل بينها السور؟ ولماذا سمي هذا الجزء من الآيات (سورة) ؟ أما لهذه التسمية من مدلول؟ يقول ابن عاشور :" ووجه تسمية الجزء المعين من القرآن سورة، قيل مأخوذة من السُّور بضم السين ، وتسكين الواحد وهو الجدار المحيط بالمدينة أو بمحلة قوم، زاده هاء تأنيث في آخره مراعاة لمعنى القطعة من الكلام، كما سموا الكلام الذي يقوله القائل خطبةً أو رسالةً أو مقامةً[٥].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن مجيئ القرآن الكريم بالصورة التي جاء عليها، يثبت أن لكل سورة كياناً مستقلاً موضوعياً خاصاً . يقول سامي عطا: " إن المتأمل لتركيب آيات القرآن، ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها، وأسلوبه في التوفيق بين القضايا والأغراض المتنوعة،

---

(4) منها المرجع السابق الذكر .

(5) ابن عاشو، التحرير..، م١، ص ٨٥.

مع حسن ربط وبراعة مسلك، كأنهُ سبيكة واحدة أو عقد نظم يترجح لديه الرأي القائل: إن ترتيبه توقيفي "[٦].

وعن أهمية التفسير الموضوعي وضرورته يقول الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم : "أما بالنسبة لموضوع السورة القرآنية فإنه كذلك ، لأن مظاهر التنوع في عباراتها والتعدد في موضوعاتها الجزائية إنما هي متعلقات هذا الموضوع الواحد، ومداخله التي لا غنى عنها في استجلاء معرفته، وشهود آثاره في أرض الواقع .

... إن هذا النمط من التفسير في اعتقادي أقرب إلى تحقيق الغاية التي نزل من أجلها الكتاب تيسيراً للهداية. وإزالة للبس الذي يعتري العقول والحيرة التي تمتلك القلوب في كثير من المعضلات التي تواجه الإنسان وبالتالي فإنه يجعل القرآن أُرب إلى التناول، مع التركيز على المقصود، دون تشتيت للذهن بمباحث جانبية، نجدها في كثير من الأحيان لا تعدو أن تكون شكلية، ابتعد بسببها التفسير عن أن يقدم هداية عملية في الواقع المعاش لدى الإنسان، وبكل ما يحمله هذا الواقع من قضايا متجددة ومشاكل متنوعة خصوصاً وأنهُ لمن المعلوم أن القرآن الكريم لم ينزل إلا للهداية العملية التي يستعين بها المؤمن على أن يصهر الواقع في بوتقتها. فيشهد كيف أن الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض"[٧].

---

[6] سامي عطا حسن، المناسبات بين الآيات والسور، مجلة دراسات، مجلد ٣٠، عدد١، ص٢٦ .

[7] عبد الجليل عبد الرحيم، التفسير الموضوعي.. ، ص ٤١ .

وليس هدفي في هذا المبحث أن أفسّر آيات السورة تفسيراً تحليلياً ، فهذا مدون في كتب التفسير، ولكنني أهدف إلى الوقوف على بعض أسرار الترابط في الآية الواحدة وفي آيات السورة الكريمة، وأن نتعرف الموضوع الذي تعالجه السورة، وكيف تمت معالجته؟ وهذا يتطلب منا أن نعرج على الجانب الفني فيها لاتصاله بالهدف الذي نرمي إليه.

لذا رأيت من المناسب أن أتحدث عن الوحدة الفنية في السورة إلى جانب الوحدة الموضوعية.

يقول سعيد سالم فاندي " وإذا كانت الدراسات الأسلوبية الحديثة تميز الأسلوب الرفيع بما يشع فيه من التأثير المعنوي المتآلف، والمتوافق مع الإيقاع الداخلي والخارجي للعبارة في إنسجام، فإن القرآن أعظم نموذج لهذا التوحد المتناغم المنسجم، بحيثُ لا يمكن فصل أسلوبه عن إيقاعه. وقد تقرر أن الإيقاع من الأسلوب " [٨].

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

---

[8] سعيد سالم فاندي، الوحدة المعنوية في القرآن الكريم ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، عدد ١٦، ص ٣٥ .

*الوحدة في الســــــــــورة :

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

قد – خالدون .

" قد أفلح المؤمنون " هذه قضية السورة الرئيسية بأوجز العبارات، افتــتح الله بهــا السورة، لتكون هي المركزية والمحورية لسعي المؤمنين.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالفلاح كما يقول ابن عاشور : " غاية كل ساع إلى عمله " [٩]، فــلا خيــر علــى المؤمنين بعد ذلك أن يلاقوا ما يلاقونه في هذه الحياة الدنيا، ما دام أن الله رجل جلاله قــد ضمن لهم الفلاح .

وقد بين القرآن في سورة الكهف، أن الإنسان لا يصبر على أمر ، ما لم تكن رويته فيه واضحة (وكيف تصبر على ما لم تُحط به خبراً " [الكهف ٦٨] .

وهذا الإيمان ليس إدعاءً فحسب، وإنما هو سلوك عملي ملموس يترجم عن العقيــدة المكنونة " إن القرآن يصور الإيمان في شخصية المؤمن التزاماً عملياً بالخط العقيدي فــي

---

[9] ابن عاشور ، التحرير والتنوير، م٩، ج ١٨، ص (٨) .

الحياة "[١٠]، وأول مظهر من مظاهر الإيمان الخشوع في الصلاة (أي الخوف من الله وتعظيمه)، وقد ابتدئ بالصلاة لعدة اعتبارات، فهي عمود الإسلام، وركنه الثاني، وهي التي (توصل) العبد بربه، ووصف هؤلاء المؤمنين بالخشوع في الصلاة لم يرد في القرآن إلا في هذا الموضع [١١].

فلهذه الاعتبارات وغيرها حَسُن أن يُبْدأ بهذه الصفة، ،هذا من دقة هذا النظم الحكيم.

والخشوع لله يُنشئ نفساً جادة معرضة عن اللغو (والذين هم عن اللغو معرضون) واللغو من الكلام – كما يقول الأصفهاني – " ما لا يُعتد به، وهو الذي يورَد لا عن روية وفكر "[١٢].

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول الزمخشري عن موقع هذه الآية " لما وصفهم بالخشوع في الصلاة، أتبعه بالوصف بالإعراض عن اللغو، ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس، اللذين هما قاعدتا بناء التكليف "[١٣].

ويقول طنطاوي جوهري " فكأنهم أخذوا من جمع همتهم في الصلاة درساً بعدها"[١٤] والإعراض عن اللغو – أيضاً – صفة سامية، (يتصف بها إلا ذوو العزم، وممن كان معرضاً على الكلام الذي لا فائدة فيه، فهو عن الكلام الضار والحرم أشد إعراضاً .

---

(10) محمد حسين فضل الله ، من وحي القرآن ، م ١٦، ص (١٣٢) .

(11) الخشوع يكون في داخل الصلاة وخارجها ، ولم يرد الخشوع في الصلاة إلا في هذه الآية .

(12) الراغب الأصفهاني ، المفردات... ، ص ٤٥٥.

(13) الزمخشري ، ألكشاف ، م ٣، ص ١٧١ .

وهؤلاء المؤمنون لا يكتفون بالعبادات البدنية (كالصلاة والإعراض عن اللغو) بل يؤدون حق الله في العبارات المالية " والذين هم للزكاة فاعلون " وهم يؤدون هذه الزكاة عن وعي ويقظة وشعور بالمساكين، وهذا ما توحي به كلمة (فاعلون) .

ويقول أستاذي الدكتور محمد بركات أبو علي حول الآيات السابقة : " قال الله تعالى : (قد أفلح المؤمنون) ، وهذا الفلاح بعد تقديم المؤمنين لدوافع ما يؤدي بهم إلى طريق النجاح والفلاح، فالفلاح مظهر من مظاهر التوفيق النفسي، والاطمئنان الاجتماعي، والتكيف الحضاري، والإنسجام البيئي، وهذا الفلاح مؤكد، إذا صاحبه أحسن التفكير في الحصول عليه، وأسلم قيادة إلى الله تعالى وهؤلاء المؤمنون لهم المكافآت والجزاء الأوفى، وهو الفلاح والتوفيق ومن علامات ذلك أنه م(في صلاتهم خاشعون) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وترتبط الصورة البيانية بالنتيجة الطيبة، والعاقبة المفيدة، في الحياة والآخرة، وهؤلاء المؤمنون يخشعون في صلاتهم، احتساباً واذعاناً لأمر الباري عز وجل، وهم ثابتون على إيمانهم، وصادقون في نياتهم، ومطمئنون إلى غاية مقاصدهم، وعوالي أهدافهم التي من أجلها سهروا، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، ورحموا غيرهم، وساعدوهم وأصلحوا (١٥) ذات بينهم، وانفقوا في سبيل الله تعالى عن طيب خاطر، وأريحية[١٥]".

---

[14] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن ، ط٣، ١٣م، المكتبة الإسلامية ، ١٩٧٤، ج١١، ص ٩٦

[15] د. محمد بركات أبو علي ، الآية التفسيرية وموقعها من البيان القرآني والبلاغة العربية، ص ٦٨-٦٩ .

ثم لا بد أن يكون هؤلاء المؤمنون ملتزمين بأوامر الله في علاقاتهم الاجتماعية فلا يتعدون حدود الله في علاقاتهم الجنسية، ولا يخونون الأمانة والعهد. وانظر بم ضمت هذه الأوصاف " والذين هم على صلواتهم يحافظون " ختمت بوجوب المحافظة على الصلاة، كما بدأت بوصفها. وهذا يدل على عظم منزلة الصلاة وانظر كيف أحاطت الصلاة بهذه الأوصاف في البدء والختام وكأنها السياج الذي يحميها.

وقد جمعت الأوصاف السابقة أصول التقوى الشرعية " لأنها أتت على أعسر ما تراض له النفس من أعمال القلب والجوارح، وجمعت بين ملكتي الفعل والترك في المهمات، وهما منبع الأخلاق الفاضلة لمن تتبعها "[١٦].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول عنها سيد قطب (قيمتها أنها ترسم شخصية المسلم في أفقها الأعلى[١٧]" وقد وضع العلامة محمد دراز الآيات السابقة في فصل (بعض أمهات الخصال التي يميز بها القرآن المسلم الحق)[١٨].

إذاً فالفئة التي تعرض السورة أوصافها، فئة مميزة في إيمانها وصفاتها، ومواقفها وتستحق أن يكون جزاؤها متميزاً كذلك (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) . (فالفردوس) وهي أعلى درجات الجنة حق محفوظ لهم .

---

[16] ابن عاشور ، التحرير ، م ٩، ج١٨، ص ١٨-١٩ .

[17] سيد قطب ، في ظلال القرآن، ط١٧، ٦م، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٩٢، م٤، ص ٢٤٥٤ .

[18] محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ط١، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البحوث العلمية، الكويت ص ٧٧٥.

وكلمة (الفردوس) لم ترد في القرآن، إلا مرتين، هنا، وفي سورة الكهف التي سردت قصة فتية متميزين في إيمانهم، في وقت كان فيه المؤمن يتحسس رقبته، ونلاحظ أن الآيات السابقة لخصت مسيرة المؤمنين في الدنيا وبينت مآلهم في الآخرة، وبعد ان شوقتنا إلى هذا المآل، بدأت بتفصيل هذه المسيرة، ومن أين بدأ هذا التفصيل؟ لقد بدأ منذ نشأة الإنسان على هذه الأرض؟ هذه النشأة التي صحبتها العناية الالهية ، قبل أن يولد الإنسان وبعد نزوله إلى الأرض .

ولقد --- تحملون.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

قال الفخر الرازي " اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات في الآية المتقدمة ، ،الاشتغال بعبادة الله لا يصح إلا بعد معرفة الآله الخالق، لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية " [١٩] ويقول الشهاب:

" مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أولاً أحوال السعداء، عقبه بذكر مبدئهم ومآل أمرهم، أو لما ذكر إرث الجنة عقبه بذكر البعث لتوقفه عليه، أو لما حث على الصفات الحميدة عقبه بما يبعث عليه[٢٠]".

وفي لطائف الإشارات " عرفهم أصلها لئلا يعجبون بفعلهم "[٢١].

---

[19] الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، م١٢، ج٢٣، ص/٨٤ .

[20] حاشية الشهاب .. ، ج٦، ص ٥٦١.

[21] القسيري، لطائف الإشارات ، ط١، ٣م ، تحقيق عبد اللطيف حسن، دار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠٠٠، ج٢، ص ٣٣٧ .

أقول : لقد جاءت هذه الآيات في موقعها وفق سياسة حكيمة، فمن جانب أشارت هذه الآيات إلى أن إيمان هذه الفئة المتميزة قائم على جذور راسخة من التأمل في آيات الله الكونية، والقرآن حريص على أن يخاطب النفس البشرية من كل أقطارها، من صفحة الكون المعروضة أمامه ومن الأحداث أو القصص، ومن نفسه، من مشاهد الدنيا ومشاهد الآخرة، وهذه ما يسميها محمد قطب " موحيات العقيدة في القلب البشري "[٢٢].

وفي الآيات السابقة يعرض لنا القرآن الكريم مشهداً من مشاهد الكون يتجلى فيه جانب الدقة الإلهية والعظمة الربانية، كما يتجلى فيه جانب العناية الإلهية بهذا المخلوق الضعيف المخلوق من سلالة من طين !

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولكن بم بدئ المشهد ؟ لقد بُدئ بأقرب آية إلى الإنسان، وهي نفسه التي بين جنبيه، وبأعظمة نعمة وهي الإيجاد، فهي أصل النعم.

وانظر انتقل بالإيمان إلى الفردوس الأعلى، وقارن بين الصورتين. وتأمل كيف ضربت هذه الآية بجذورها إلى هذه الجوانب كلها ؟ ! بل تأمل نظم الآية لترى أنها تصلح لأن يكون المقصود منها آدم، أو جنس الإنسان (لأنهُ متكون من الأغذية التي أصلها من الأرض) .

ثم فصلت الآيتان التاليتان (١٣-١٤) مراحل خلق الإنسان، وظهرت في هذه الآيات عناية الله بهذا الإنسان الضعيف (قرار مكين) ، ودقة ضعة الباري سبحانه وتفصيل القرآن

---

(22) محمد قطب ، دراسات قرآنية ، ط٦، دار الشروق ، القاهرة، بيروت ، ١٩٩١، ص ٣٩٠ .

لهذه المراحل جاء متناسقاً مع ما سيذكره لاحقاً من إنكار القوم للبحث، فمن كان هذا إبداعه، أيعجز عن إرجاعه ؟!

وفي هذه الآيات تتجلى دقة القرآن في اختيار ألفاظه، فهنا وردت كلمة (قرار مكين) وهي شبيهة (بالقرار والمعين) الذي آوى إليه عيسى وأمه (وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين) [٤٥] وكلا التعبيرين يشعران بعناية الله بعباده .

وقد ذكر القرآن الكريم في هذه الآيات من مراحل التخلق، مرحلة (العظام) بينما لم تذكر هذه المرحلة في مراحل التخلق في (الحج) آية [٥]، وذلك أن هذه الكلمة تكررت في سورة (المؤمنون) مرتين على لسان الأقوام في معرض إنكارهم للبعث (آية ٣٥ وآية ٨٢)، فناسب ذلك أن تذكر هذه المرحلة عند ذكر خلق الإنسان ، بينما لم تذكر هذه الكلمة ولا مرة في سورة الحج، لذا لم تأت في أول السورة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وقد يضيق الإنسان بأن يتلف شيئاً أبدعه، وقد يخطئ عندما يقيس الخالق على نفسه، فيظن أن هذا الإبداع في خلق الإنسان مدعاة للخلود، فجاءت الآيتان الكريمتان لتكملان مسيرة الإنسان (١٥، ١٦) فالموت والبعث جزء من مراحل الإنسان على هذه الأرض، وذكرهما إيقاعان مؤثران في أوتار القلب البشري .

وبعد أن ذكر الله نعمة الإيجاد ثنى بنعمة الإمداد : السماء التي توحي بعظمة الخالق الذي لا يغفل عن مخلوقاته (وما كنا عن الخلق غافلين) ، والماء النازل من هذه السماء فينشئ الله به الجنات، التي يأكل منها الإنسان وأنعامه، التي تحمله هي والفلك في البحار،

وهذه المشاهد جديرة بأن تحيى في قلب من يتدبرها معاني الإيمان، وتزوده بما يعينه على تحقيق الصفات التي وردت في أول السورة .

أرسلنا---لمبتلين

بعد أن ذكرت السورة لنا صفات المؤمنين، وآيات الله التي توصلنا إلى الإيمان انطلقت بنا السورة في رحاب التاريخ، لتعرض لنا موكب الإيمان من مبدئه إلى ختامه، ولتقدم لنا نماذج إيمانية عالية يقتدى بها، والقرآن حريص على أن يعرض قضية فلاح المؤمنين عرضاً حياً مؤثراً متفاعلاً، عن طريق القصص، وهذه طريقة القرآن البديعة لا يكتفي بعرض صفات المؤمنين عرضاً نظرياً ذهنياً فحسب، وإنما يضعها في عجلة الحياة، وهو بذلك يوحي بأن الإيمان منهج حياة، وحركة متفاعلة في الوجود.

يقول الرازي " واعلم أنهُ سبحانه لما بين دلائل التوحيد، أردفها بالقصص كما هو العادة في سائر السور " [٢٣].

والقرآن الكريم يهدف من هذا القصص أن يربي الفئة الرائدة التي تحمل الإسلام على كاملها وتنشره في الأرض، وهو يهدف أيضاً إلى أن يشير إلى أن هذا الموكب الذي تسير يفه هذه الفئة المؤمنة، موكب ممتد في التاريخ ، وستكون عاقبتها كعاقبة هذا الموكب.

---

[23] تفسير الرازي، م١٢، ج٢٣، ص ٩١ .

ويبدأ هذا الموكب بأعظم مهمة وأصعب مهمة، ومع أول رسول لأهل الأرض مع بني محمد أولي العزم، لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وقد انتقل السياق من الحديث عن آيات الله الكونية الى الحديث عن نوحٍ عليه السلام، برباط موضوعي لغوي، إذ انتهت اللفتة الكونية بقوله تعالى : (وعليها وعلى الفلك تحملون) ، والحديث عن الفلك يذكرنا بقصة نوح عليه السلام، وهذا ما يسميه علماء النفس (تداعي المعاني)، والقرآن بهذا الربط الحكيم يوحي إلى النفس بأن رسالات الأنبياء هي – أيضاً – من نعم الله العظيمة على عباده ، فهي ليست بأقل من نعمة (الفلك) وما سبقها من نعم، بل هي أعظم، لذا فالتفصيل فيها أطول، وتعرض لنا الآيات ما دار بين نوح عليه السلام وقومه، فهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فيسارع الملأ الذين كفروا إلى الوقوف في وجه دعوته، وإعلان الحرب النفسية عليه، وهنا يعرض القرآن مقاييسهم الفاسدة في تقييم الأمور والأشخاص فنوح – عليه السلام – في رأيهم بشر مثلهم، يريد أن تكون له السيادة – وهم يقيسونه على أنفسهم – وهذا الذي أتى به لم نسمعه من آياتنا ! ويتهمونه بعقله – عليه السلام – وهذا من تناقضهم، فهم – قبل قليل – أثبتوا له عقلاً يكيدهم به (يريد أن يتفضل عليكم) وهنا يتهمونه بالجنون (إن هو إلا رجل به جنة) والتناقض صفة من صفات أهل الكذب والضلال.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعندما يئس نوح منهم، وبلغ السيل الزبى، رفع نوح يديه إلـــى الله قـــائلاً : (رب انصرني بما كذبون) ، فيأمره الله بأن يضع السفينة، فلا بد أن يكون لنوحٍ وأتباعه دور في النصر ولو مجرد ضع سفينة، ثم كان من أمر الله ما كان !

ثم بعد أن ركب المؤمنون في السفينة، أمروا ان يقولوا (الحمد لله الذي نجانا مـــن القوم الظالمين، وقل رب انزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) ، وهذا الـــدعاء مـــن متفردات هذه السورة، حيثُ إنه لم يذكر في أي موطن سوى هذا الموطن .

(إن في ذلك لآيات) من هذه الآيات أن الكافرين هم الخاسرون، وأن المؤمنين هـــم المفلحون، ولكن هذا الطريق الوصول إلى النجاة والفلاح ليس معبداً بـــالزهور (وإن كنـــا لمبتلين) " ولم يذكر خبر غرقهم إيماء إلى أنهم آل بهم الأمر إلى أن لا خبر عنهم بعد ذلك وإعظاماً للقدرة ، وتهويلاً للخطة، وتحقيراً لهم، واستهانة بأمرهم " فالسكوت في هذه القصة عن هلاكهم أبلغ "[٢٤].

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ثم ---الظالمين

---

[24] الطباطبائي، الميزان في تسير القرآن، م١٥، ص (٣٠) .

يقول البقاعي : " ولما بين سبحانه وتعالى تكذيبهم وما عذبهم به [يقصد قوم نوح] وكان القياس موجباً ، لأن من يأتي بعدهم يخشى مثل مصرعهم، فيسلك غير سبيلهم ويقول غير قيلهم، بين أنهم لم تنفعهم العبرة، فارتكبوا مثل أحوالهم، وزادوا على أقوالهم وأفعالهم"[٢٥].

وكأنّ هذه القصة تقول لنا : يا قوم اعتبروا ، فغيركم لم يعتبر فاندثر. كما ان فيها تثبيتاً للمعاني في النفس، وهذا أحد أهداف تكرار المواقف والأحداث في القرآن، علماً بأنه لا وجود للتكرار المتماثل في القرآن، فلا أن يضيف النص شيئاً جديداً متلائماً مع السياق.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول الدكتور التهامي نقرة : " فتكرار القصة في القرآن وثيق الصلة بمنهجه القصي. إذ هو يخدم غرضين في آن واحد :

١- غرضاً فنياً يتمثل في تجدد أسلوبها إيراداً وتصويراً ، والتفنن في عرضها إيجازاً وإطناباً ،والتنوع في أدائها لفظاً ومعنى .

٢- وغرضاً نفسياً بما له من تأثير في النفوس، لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية، التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس.

---

(25) البقاعي ، نظم الدرر، م٥، ص١٩٨ .

ونحن نلاحظ كيف صار أصحاب المصانع والشركات التجارية يستخدمون وسائل الإشهار لمصنوعاتهم على أوسع مدى، وذلك بتكرار الدعاية لها في صور متنوعة ومناسبات مختلفة قصد التأثير .

يقول علماء النفس : إنهُ متى كثر تكرار أمر تؤكد تيار فكري وعاطفي يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات وهو العدوى. إذ لا يكفي لتحول الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لابد لحصول ذلك أن يتكرر حدوثه، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به، وتركزه حوله، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيب العاطفة، وإن عاطفة قوية لكافية لتحديد نشاط الفرد واتجاهه في الحياة ولا شك أن تكرار القول لا يقل تأثيراً في إثارة الانفعال وتكوين العواطف من تكرار الفعل، بل إن التكرار في القول مما يدفع إلى الفعل[٢٦].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وما قاله الدكتور التهامي عن تكرار القصة، ينطبق على تكرار المواقف والأحداث . ونلاحظ في هذه القصة المقولة نفسها التي جاء بها نوح عليه السلام (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) ، فرسالة الأنبياء واحدة، وموقف الكفار واحد، بل كان موقف هؤلاء الملأ أشد كفراً وطغياناً من قوم نوح، حيثُ وصفهم الله بأنهم " كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا " ، وهذا التكذيب بالآخرة والترف لم

---

(26) التهامي نقره : سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٤، ص ١١٥-١١٦ .

يُذكر في قصة نوح، وقد تصفحت قصة نوح في القرآن كله، فلم أجد في موطن واحد أن قوم نوح ينكرون الآخرة .

كما نلحظ في هذه الآيات أن هؤلاء القوم أشد لجاجة من قوم نوح، حيثُ كانت المساحة التي أخذتها أُوالهم أطول من المساحة التي أخذتها أقوال قوم نوح، كما نلمح في هذه الآيات تكذيباً صريحاً للرسول لا نجده في قصة نوح (إ، هذا إلا رجل افترى على الله كذباً) ، لذا رأينا العذاب الذي حل بهؤلاء القوم كان سريعاً مباغتاً على عكس قوم نوح .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونلمح في هذه القصة خطورة الترف على الأمم، وسورة (المؤمنون) هي السورة الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها مشتقات الترف مرتين، كما نلمح في هذه القصة المقاييس المقلوبة عند الأمم الكافرة " ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون" ولكن نهاية القصة تثبت أن الخسارة في عكس ما قالوا، وأن الفلاح في الإيمان.

ثم تجري بنا عجلة التاريخ مسرعة، تمر بنا على مصارع الأمم الكافرة، علنا نأخذ منها العبرة، ولا داعي هنا لتفصيل القصص، فإن هذه السورة الكريمة هي سورة (المؤمنون) والمؤمن تكفيه الإشارة .

ثم – يؤمنون

والآيات الكريمة بهذا الاستعراض السريع، تريد أن تحفر في عقولنا ووجداننا سنة الله في عباده المؤمنين والكافرين.

ونلمح في هذه الآيات إضماراً وتكثيفاً في السرد، ساهم فيه عدة أمور، منها كلمة (تترا) التي اختصرت حكايات الأنبياء مع أقوامهم وكلمة (جاء) التي عبرت عن سرعة تكذيب الأقوام لهم .

ثم تبطئ بنا العجلة أمام قصة ، تكاد تكون مثلاً فريداً بين قصص الأنبياء التي سبقتها وهي قصة موسى عليه السلام .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثم---- يهتدون منها هو فرعون وملؤه يسارعون إلى تكذيب موسى وهارون – كما تنبئ عنه الفاء في (فاستكبروا) – لأنهم قوم عالون.

ويعرض القرآن مقاييسهم الفاسدة (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) "والعرب تسمي كل من دان لملك عباداً له[٢٧]" ، وهذا القليل (وقومهما لنا عابدون) ربما لم يرد في القرآن إلا في هذا الموضع، وهذه إضافة جديدة على قصة موسى، وردت في هذا المشهد على قصره، وقد ذكرنا سابقاً أن لا تكرار متماثلاً في القرآن الكريم.

---

(27) الطبري ، جامع البيان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، م٩، ص ٢١٧.

" فكذبوهما فكانوا من المهلكين " " وقد ختم الهلاك العام بالإغراق كما فتح به[٢٨]"

أما قوم موسى، فأنجاهم الله وأنعم عليهم بنعمة المنهج، الذي يرسم لهم طريق الفلاح "ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون " .

ثم يشير القرآن إشارة مجملة إلى عيسى وأمه عليهما السلام – وتتجلى في هذه الإشارة عناية الله بعباده المؤمنين .

" وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين " [٥٠] وبعد أن تستعرض السورة موكب الإيمان، من مبدئه إلى أن يصل إلى زمن محمد صلى الله عليه وسلم، متمثلاً في قدواته ونماذجه، وهم الأنبياء عليهم السلام من لون نوح إلى عيسى، بما فيهم أصحاب الرسالات الكبرى، يأتي هذا الخطاب المتميز .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

" يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم [٥١] وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون [٥٢] " .

" وتتلاشى آماد الزمان، وآبعاد المكان، أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسل. ووحدة الطبيعة التي تميزهم ووحدة الخالق الذي أرسلهم. ووحدة الاتجاه الذي يتجهونه أجمعين:

" وإن هذه أمتكم واحدة وأنا ربكم فاتقون "[٢٩].

---

(28) البقاعي، نظم الدرر، م٥، ص ٢٠٤.

(29) سيد قطب ، الظلال ، م٤، ص٢٤٦٩.

وانظر موقع هاتين الآيتين العجيب، منهما من جانب خاطبتا الناس ليقوموا بمهمتهم في الأرض، فيعملوا صالحاً ويأكلوا طيباً ، ويوحدوا ربهم ويوحدوا كلمتهم، ويتقون ربهم. ومن جانب أثبتتا بشرية الرسل جميعاً، فهم يأكلون كما يأكل الناس ولكنهم لا يأكلون إلا الطيب، وهذا رد على اعتراض الأقوام السابقين أما هذا إلا بشر مثلكم)، ومن جانب اثبتتا وحده الرسالات جميعاً، ووحدة الموكب الإيماني الممتد في التاريخ.

وتأمل – أيضاً – في الآية التي قبلهما (وجعلنا ابن مريم وأمه آية واؤبناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) تجد أنها ختمت بالحديث عن الثمار والزروع والمياه)، (ذات قرار ومعين) وهذا يتناسق مع (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات..) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الى رسائل الجامعية

ثم كان موقف الناس من هذا الخطاب ؟

فتقطعوا ---لا يظلمون .

والذين تفرقوا هنا أمةُ ما بعد الرسل، لا الرسل، وهذا يشير إلى أن الخطاب للأنبياء خطاب لأممهم. لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمم الأرض متفرقة، متقطعة (كل حزب بما لدهم فرحون)، مقاييسهم فاسدة، (المال والأولاد) ، يظنون أن الله يسارع لهم في الخيرات، وهم في الحقيقة غرقي في الظلال. إن الذين يسارع الله لهم في الخيرات، هم المؤمنون الصالحون، الذين اتصفوا بصفات الإيمان فهم مشفقون من

خشية ربهم " والإشفاق أبلغ التوقع والخوف"[٣٠] وهم يصدقون بآيات ربهم، يتفاعلون معها ويطبقونها، وهم لا يشركون مع الله احداً ، شركاً جلياً أو خفياً وهم متيقظو الضمير، شديدو الوجل من الله، " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون " وهي آية توحي بعدم الإعجاب بالنفس، خوفاً من أن يكونوا قصروا فيها. "روي عن عائشة أنها قالت : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهو الرجل يشرب الخمر ويسرق ؟ فقال : لا يا عائشة ، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه "[٣١].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويقول السيوطي مفرقاً بين الفعل أعطى وآتى " الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، لأن الإعطاء له مطاوع، تقول أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإيتاء أتاني فأتيت وإنما يقال فأخذت، والفعل الذي له مطاوع، أضعف في اثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له، لأنك تقول قطعته ، فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفاً على قبول في الحل لولا، ما ثبت المفعول " . ١٩٥

ولاحظ بم ختمت الآية (أنهم إلى ربهم راجعون) فهم عميقو الإيمان بالآخرة فالآية لم تقل (يظنون أنهم إلى ربهم راجعون) وإنما أشعرت بنظمها، بشدة تيقنهم بالآخرة

---

(30) الكيا الهراسي، أحكام القرآن، م٢، ص٢٨٦، والحديث أخرجه الفريابي وأحمد والحاكم و------ وغيرهم .

(31) السيوطي ، الإتقان، ج١، ص ٢٥٦.

وكأنهم في طريقهم إليها. ولأنهم كذلك، اتصفوا بما اتصفوا به من صفات جليلة (أولئك يسارعون في الخيرات) ويصلون إليها (وهم لها سابقون) .

فهم ليسوا في طريقتهم إلى الخيرات، بل هم فيها يتقلبون من خير إلى خير، وهذا ما يشعر به الحرف (في)، الذي يفيد الظرفية والحّيز .

وهذه آية عجيبة في نظمها، حيثُ لم يقل القرآن (أولئك نسارع لهم في الخيــرات) لكان معناها واحداً وإنما جاءت بالصورة التي جاءت عليها لتشمل معنيين الأول أنهــم يسارعون إلى أعمال الخير والطاعة (فالخيرات هنا بمعنى الطاعات).

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والثاني أنهم هم الذين كتب لهم الخير في الدنيا لا أولئك الضالون المتفرقون.

وقد جمعت الآية الكريمة بين المعنيين، لتوحي إلى النفس بأن الذين كتب الله لهــم الخير في الدنيا والآخرة هم المسارعون إلى الخيرات فعلامة أن يريد بك الله الخير، أن يوفقك إلى عمل الطاعات. وهذه الأوصاف الجليلة التي وصل إليها هؤلاء المؤمنون هل يمكن الوصول إليها ؟.

يقول ابن عاشور " فقوله " ولا نكلف نفساً إلا وسعها " خبر مراد منه لازمة وهــو تسجيل التقصير على الذين تقطعوا أمرهم بينهم، وقطع معذرتهم، وتيسير الاعتذار على الذين هم من خشية ربهم مشفقون.. مع ما في ذلك من جبر الخواطر المنكسرة من أ÷ل الإيمان الذين لم يلحقوا غيرهم لعجز أو خصاصة "[٣٢].

---

[32] ابن عاشور، التحرير ، م٩، ص ٧٩ .

وهنا قبل أن نمضي مع الآيات، نقف لنسأل هذا السؤال : كيف انتقل الحديث عن الأقوام السابقة إلى الحديث عن كفار قريش ؟

لقد وصف الله – جل جلاله – الأمَمَ بعد الرسل، بأنهم تقطعوا أمرهم، ثم انتقل الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً " فذرهم في غمرتهم حتى حين" وهنا انتقال إلى كفار قريش، فكأن كفار قريش هم الأمم السابقة، وبهذه الطريقة من الانتقال، توحي الآية الكريمة بأن هؤلاء الكفار امتداد لأمم الكفر السابقة وسيحل بهم ما حل بالأقوام السابقين، فعلهم يرتدعون ويرعوون .

بل ---- تهجرون .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

عشنا سابقاً مع الذين يسارعون في الخيرات، ورأينا وجلهم وخوفهم من الله وها نحن نتعرف على هؤلاء الذين يعيشون في الضلال، ولا يسارعون إلى الخيرات بل يبادرون إلى الخبائث (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) أي يختارون القيام بها عن قصد وتصميم. ولكن القرآن الحكيم لم يصرح بذكر هذه الأعمال، تنزيهاً لكتاب الله عن ذكر هذه الأعمال المشينة، ولكي لا يعرض علينا نماذج سيئة يقتدى بها، ثم يرسم القرآن مشهد انتباههم على الباغتة المفاجئة (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون) " والمترفون أشد الناس استغراقاً في المتاع والانحراف والذهول عن المصير، وها هم يفاجأون بالعذاب الذي يأخذهم أخذا، فإذا هم يرفعون أصواتهم بالجؤار، مستغيثين مسترحمين (وذلك في مقابل الترف والغفلة والاستكبار والغرور) ثم هاهم

أولاء يتلقون الزجر والتأنيب : " لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون " . وإذا المشهد حاضر وهم في غمرتهم مستغرقون : " قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون " فتتراجعون على أعقابكم كأن ما يتلى عليكم خطر تحاذرونه، أو مكروه تجانبونه، مستكبرين عن الإذعان للحق . ثم تزيدون على هذا سوء القول وهجره في سمركم، حيث تتناولون الرسول – صلى الله عليه وسلم – وما جاء به بكلمات السوء.

ولقد كانوا يطلقون ألسنتهم بهجر القول وفحشه في مجالسهم، وهم يتحلقون حول الأصنام في سامرهم بالكعبة. فها هو ذا القرآن يرسم لهم مشهد حسابهم على ما هم فيه، وهم يجأرون طالبين الغوث، فيذكرهم بسمرهم الفاحش، وهجرهم القبيح، وكأنما هو واقع اللحظة، وهم يشهدونه ويعيشون فيه ! وذلك على طريقة القرآن الكريم في رسم مشاهد القيمة كأنها واقع مشهود "[٣٣].

وبعد هذا المشهد الرهيب، يعود القرآن بهم من الآخرة إلى الدنيا ليحاورهم في إعراضهم عن الإيمان، ويفند معاذيرهم، ويبين لهم الأسباب التي توجب إيمانهم.

أفلم –تعقلون .

---

(33) سيد قطب، الظلال، ٤، ص ٢٤٧٤ .

لقد ذكر القرآن من موانع الإيمان، أنهم لم يدبروا (القول) ولم يقل (القرآن) احتراماً لعقولهم، وإنهم امتدوا بآبائهم، وأنهم اتهموا النبي في عقله، وعدم إيمانهم بالآخرة، وعدم تدبرهم في آيات الله الكونية.

وذكر من الأمور الموجبة لإيمانهم، تدبر القرآن الكريم، ومعرفة حال النبي صلى الله عليه وسلم وأمانة صدقه وكمال عقله، وإنهُ لا يسألهم على دعوتهم أجراً، وأن ما يدعوهم إليه هو الحق ، وهذا الحق لو اتبع أهواءهم لاختلت السماوات والأرض، بينما لو اتبعوا الحق لعلا ذكرهم، لأن هذا الحق هو الطريق المستقيم الذي يوصلهم إلى العز في الدنيا والآخرة، وقد أصابهم الله بالضر والعذاب لعلهم يؤمنون ويرتدعون.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأرشدهم الله إلى استعمال سمعهم وأبصارهم وعقولهم، ولكنهم (قليلاً ما يشكرون) ومن موجبات إيمانهم تفكرهم في آيات الله الكونية، وبدأ بالآيات القريبة منهم : السمع والبصر والأفئدة ، والانتشار في الأرض، ولا يترك القرآن هذا الانتشار دون أن يذكرهم بمآله (وإليه تحشرون) ، ومن الآيات الاحياء والإماتة ، وشبيهاهما الليل والنهار، وهي آيات تدل على عظمة الصانع من جهة، ورحمته بعباده من جهة أخرى، هذه الرحمة التي تبدأ من حيثُ يُخلق الإنسان إلى أن يرجع إلى ربه (٧٨-٧٩) .

وهذه الموانع والموجبات لم تعرضها الآيات كما عرضتها سابقاً، ولكنها ألبستها ثوب الحياة، عندما جاءت في معرض مخاطبة الكفار الذين أبوا أن يتفيؤوا ظلال الإيمان، فجاءت تخاطبهم وتحاورهم وتنوع معهم في الأساليب، وتدخل إلى نفوسهم من

جميع جوانب النفس الإنسانية : من أبواب العقل والوجدان، من الترغيب والترهيب، من المشاهد الكونية والأحداث اليومية ،ومشاهد الآخرة، لعل ذلك يوقظ في نفوسهم الفطرة الإيمانية، فيصبحوا من المفلحين، وينجوا من الخسران المبين.

وقد رأينا الآيات السابقة تختم بعرض مشهد من المشاهد الكونية، وهذه المشاهد فيها دلالة على عظمة الخالق سبحانه من جانب، وعنايته بخلقه من جانب ثان، وفيها من جانب ثالث دليل على البعث، فالذي بث الإنسان في الأرض وأنشأ لهُ السمع والأبصار والأفئدة ، أيعجز عن إعادته. أمّن يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار (وهما شبيهان بالموت والحياة) يعجز من البعث ؟ أين عقولكم أيها المشركون عندما أنكرتم البعث ؟ (أفلا تعقلون) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بل---- يشركون

وفي هذه الآيات يعرض لنا القرآن مانعاً آخر وهو عدم إيمانهم بالآخرة وهو مانع خطير، ينتج عنه خسارة الدنيا والآخرة، وهو مانع أولاه القرآن عنايةً كبرى. وقد بدأت الآيات بذكر مقولتهم (قالوا) وهنا التفات من الخطاب إلى الغيبة إبعاداً لهم، فهم عندما قالوا هذه المقولة لم يعودوا أهلاً للخطاب، لأنهم ألقوا عقولهم (أفلا تعقلون) واتبعوا آباءهم ، والأبوة حجاب على العقل، وهذه المقولة التي يقولها هؤلاء الكفار، تدل

على أنهم لا يفكرون بعقل، بل بانفعال وسطحية " أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون، لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين " !

ثم أقام عليهم القرآن الحجة بما هو مقرر عندهم، وبدأ يسألهم عن الأرض ومن فيها ومن السماء والعرش العظيم (وهو سؤال عن الربوبية المدبرة المصرفة للكون) ثم سألهم عمن بيده خزائن كل شيء، ثم سألهم عمن يدفع عن عباده الأذى ويحفظهم، ولا يستطيع أحد أن يجير عليه . وفي كل مرة يجيب عنهم القرآن (سيقولون لله) لأن هذا مما لا شك فيه .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد روعي في هذه الأسئلة قضية الترقي من الأرض إلى السماوات، إلى العرش، إلى من بيده ملكوت كل شيء، وكان تذييل الآيات مرعياً فيه الترقي أيضاً (أفلا تذكرون، أفلا تتقون، فأنى تسحرون) يقول البروسوي " قدم التذكر على التقوى لأنهم بالتذكر يصلون إلى المعرفة ، وبعد أن عرفوه علماً أنهُ يجب عليهم اتقاء مخالفته[٣٤]" ويمكن ان نضيف إلى ما ذكره البروسوي أنهُ بدأ بالتذكر (أفلا تذكرون) تلطفاً بالخطاب وكأنه يذكرهم بشيء نسوه، ثم ذكر السماوات والعرش العظيم، وأن تأملاً صادقاً في السماوات ونجومها كفيلٌ بأن يلقي في القلب مهابة الخالق سبحانه (أفلا تتقون) ومن تأمل في سعة هذا الكون، وأن كل شيء بيد الله ، (بيده ملكوت كل شيء)، إن عقلاً يوقت بهذا ثم يقول لا بعث ولا نشور، أو يجعل مع الله شريكاً في الألوهية عقلٌ مسحور منكوس (فأنى تسرون) ؟

---

(34) البروسوي، تفسير روح البيان، ج٦، ص ١٠٠ .

" بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون [٩٠]، ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون [٩١] عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون [٩٢].

لقد كانت الآيات السابقة لهذه الآيات، دليلاً على البعث والنشور من جانب، ودليلاً على التوحيد من جانب ثان.

لقد جاءهم الله بالحق وإنهم لكاذبون ، عندما جعلوا مع الله شركاء، فجل الله أن يكون له ولد أو شريك ، وإن انتظام هذا الكون الواسع وتناسقه بأجرامه وشموسه وأموره كلها ليشهد بأن لهذا الكون إلهاً واحداً، فسبحان الله عما يصفون وإن البشرية اليوم – على ما وصلت إليه من تقدم علمي – لتقف عاجزة أمام بعض أسرار عالم الشهادة، فما بالك بعالم الغيب ؟ أما الله فهو " عالم الغيب والشهادة " ومن كان كذلك كيف يُجعل معه شريك من خلقه ؟ ! " فتعالى عمّا يشركون " .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثم لمّا أقامت الآيات السباقة الأدلة العظيمة على المكذبين، فلم يلتفتوا إليها ، ولم يذعنوا لها، حق عليهم العذاب .

قل ---- يحضرون .

وهذا الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء ، يشير إلى عظم العذاب الذي سينزل بهؤلاء الكافرين، لأن سيد الخلق – عليه الصلاة والسلام – يستفيد منه، فما بالك بالمكذبين الكافرين . ولكن الله الرحيم الحكيم يؤخر عذابه لحكم عديدة.

وما دام أن الله قد تكفل بهم، وأن عذابه واقع بهم – إن بقوا على ما هم عليه – فاصبر يا محمد على أذاهم و (ادفع بالتي هي أحسن السيئة فمن أعلم بما يصفون).

" وإذا كانت خاتمة النبي هي النصر على هؤلاء المتطاولين عليه، العاندين له، فإن ذلك يهون كثيراً من الأذى الذي يلقاه منهم، حيثُ يكون بصره معلقاً بيوم النصر الموعود، غير ملتفت إلى ما يصادفه على يومه من مشقة وعناء "[٣٥].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهذا الخلق الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، خلق عظيم، فليس من المستغرب أن تقابل الحسنة بالحسنة، أو تبدأ بها من غير سابق فضل، لكن العجيب أن تقابل السيئة بالحسنة ، فهي خصلة ليست هينة على النفس.

وتصورها نظرياً يختلف عن ممارستها عملياً ولأنها خصلة شاقة على النفس فقد جاء قبلها وبعدها ما يرغب فيها ويشجع عليها، فانظر كيف ختمت الآية (نحن أعلم بما يصفون) فكأنها تقول لمحمد صلى الله عليه وسلم : أد دورك وتم بما عليك ونحن نتكفل بهم

---

(35) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآن للقرآن، م٣، ص ١١٧٤.

وبحسابهم " وادفع السيئة بالحسنة يحتاج إلى استعاذة بالله من الشيطان، إذ النفس يصعب عليها هذا المقام، والشيطان يستغل هذه الصعوبة[٣٦] ".

لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يستعيذ من وساوس الشياطين وأن يستعيذ من حضورهم ، " وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعود بك رب أن يحضرون " [٩٧-٩٨].

وفي هاتين الآيتين " وصف لعلاج شياطين الحق بعد الحديث عن شياطين الإنس[٣٧]" "وهذه استعاذة من مادة الشر كله وأصله، ويدخل فيها، الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان ، ومن حسه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر، وأجاب دعاءه، سلم من كل شر، ووفق لكل خير، ونجا من الخسران ونال الفلاح "[٣٨].

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وبعد أن سرد القرآن موكب الإيمان في ماضيه وحاضره، وأطال الوقوف مع الحاضرين، وحاورهم في معتقداتهم، ونقض موانع إيمانهم، وعرض لهم موجبات الإيمان، وأقام أدلته العقلية على البعث والتوحيد، لعلهم ينضوون تحت رداء الإيمان فيكونوا من الفائزين.. فإذا بالقرآن يقفز بنا من الحاضر إلى المستقبل، وإذا نحن أمام مشهد من مشاهد الآخرة، يتجلى فيه – أعظم تجلٍ – واقررته السورة من فلاح المؤمنين وخسران الكافرين.

---

(36) سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ط١، ١١م ، دار السلام ، القاهرة ، ١٩٨٥، م٧، ص ٣٦٦٤.

(37) عبد الحميد كشك، في حراب التفسير، ٩م، المكتب المصري الحديث، القاهرة ، م٤، ص ٢٨٧٠.

(38) تفسير السعيد، ط٢، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ٢٠٠١م ، ص ٦٦٠.

حتى --- الرحمين .

والمتأمل في سياق هذا المشهد يجد فيه العجب، فهو من جانب جاء ليصور الحلقة الأخيرة من مسيرة المؤمنين والكافرين، حلقه يتجلى فيها فوز المؤمنين وخسارة الكافرين بعد سرد ماضيها وحاضرهم، وهو من جانب ثان جاء بعد ذكر الأدلة العقلية على البعث، فهو الدليل الوجداني – إن صحت التسمية – بعد الدليل العقلي، وهو من جانب ثالث أسلوب تربوي عميق، يجذر في نفوس المؤمنين تعلقهم بالآخرة، ليصبح المؤمنون يعيشون بوجدانهم وقلوبهم في الآخرة، في الوقت الذي تنطلق فيه أجسادهم في عمارة الدنيا.

جميع الحقوق محفوظة

يقول محمد قطب مبيناً طريقة القرآن في الحدث عن اليوم الآخر :

مركز ايداع الرسائل الجامعية

" إنهُ يورد الدليل العقلي الذي قوامه أن الله الذي خلق السماوات والأرض أول مرة، والذي يحيي الأرض الموات فتزخر بالحياة والإحياء بعد أن كانت مقفرة، والذي خلق هذا الإنسان المعقد التكوين أشد التعقيد من النطفة البسيطة.. قادر على أن يعيد الحياة للعظام وهي رميم، ويبعث الناس من رقدتهم مرة أخرى .. ولكنه لا يورده قضية منطقية جافة، ولا يحصره في محيط الذهن، إنما يثير معه الوجدان بالتوقيع على أوتار القلب الفطرية التي أوردنا ذكرها من قبل في الحديث عن " الإيمان بالله " فينفعل الوجدان ويقتنع الذهن جميعاً في آن ..

أما الطريقة الثانية في مواجهتهم فهي رسم صورهم هم أنفسهم في العذاب يوم القيامة ! وهي طريقة مفزعة لهم ! تتجاوز أذهانهم المنكرة، لا تخاطبها أصلاً ولا تدخل في

جدل معها، وإنما تقتحم عليها إنكارها وتعرض عليها الصورة في جهنم، وكأنما تقول لهم: أنتم تكذبون بالبعث والحساب؟ إذن فانظروا إلى أنفسكم في مرآة الغد.. إنكم هـؤلاء فـي جهنم !! وكونهم يوم القيامة في جهنم إذا أصروا على الكفر، هذه حقيقة ولا شك.

والقرآن يعرضها على أنها حقيقة مقررة، ولكنا هنا بصدد المكذبين أنفسهم وطريقة مخاطبتهم.. إنهم منكرون للبعث أصلاً، لا تصدقه عقولهم ولا نفوسهم.. ولكن القـرآن – هنا لا يجادلهم ليثبت لهم بالمنطق – أي نوع من المنطق – حقيقة البعث، وإنما يلجأ إلـى التأثير عليهم من جانب آخر – وجداني على الأكثر – وهو عرض صورهم عليهم وهـم في نار جهنم، لتفعل وجداناتهم – بصرف النظر عن أذهانهم – فتقتنـع اقتناعـاً وجـدانياً بحقيقة البحث "[٣٩].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد بدأ المشهد السابق من صفحة الموت الرهيبة، التي يغفل عنها كثير من النـاس وكأن هذا المشهد – وما بعده – تفصيل لما ذكر في أول السورة " ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون " [١٥-١٦] .

وهنا يتمنى الكافرُ ، أن يرجعه الله إلى الحياة الدنيا، لعله يعمل صالحاً فيمـا تـرك ولكن لا يجاب إلى ذلك (كلا إنها كلمة هو قائلها) يقول ابن القيم : " أخبر سبحانه أن سؤال

---

(٣٩) محمد قطب ، دراسات قرآنية ، ص ٧٣.

هذا المفرط الرجعة كلمة هو قائلها لا حقيقة تحتها، وأن سجيته وطبيعته، تـــأبى أن تعمـــل صالحاً لو أجيب " [٤٠].

ومن أمامهم وبين أيديهم حاجز بين الدنيا والآخرة إلى يوم يبعثون، فإذا نفـــخ فـــي الصور، (إشارة لانتهاء الدنيا وبدء الآخرة) " فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتـــساءلون) فـــلا قرابة ولا نصير ولا معين، (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) فهنا الفلاح الحقيقي الذي لا يناله إلا المؤمنون (قد أفلح المؤمنون) [١]. " ومن خفت موازينه فاولئـــك الـــذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون " وهنا تظهر خسارة الكافرين التي ما بعدها خسارة، كيف لا والنار تلفح وجوههم ، أشرف ما فيهم، فتتقلص شفاههم من شدة النار، وعندما يقال لهم " ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون " " قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنـــا قومـــاً ضالين " .

لقد أقروا الآن بألسنتهم أنهم كانوا ضالين، خاسرين. وأن مـــوازينهم فـــي الفـــلاح والخسران لم تكن صحيحة . فيرد عليهم رد لعله أقسى رد في القـــرآن فـــي مثـــل هـــذا الموطن(اخسؤوا فيها ولا تكلمون) وكلمة اخسأ تقال للكلب، وهذا عذاب معنوي إلى جانب الحسي. ولماذا نالوا هذا العذاب الشديد؟ لأنهم كانوا يحاربون المؤمنين، يستهزئون مـــنهم، يقفون في وجه إيمانهم. فاستحقوا هذا العذاب الشديد، أما هؤلاء المؤمنون فقد تحقـــق الآن فلاحهم! فقد أراهم الله ما فعل بعددهم .

---

[40] بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه يسري السيد محمـــد ، ط ١، ٥م ، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٣م، م٣، ص٢٣٧.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونالوا الفوز العظيم بصبرهم " إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون" فالإيمان بالله له متطلبات وتكاليف " أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " [٢-٣ العنكبوت].

ثم يسألهم عن طول حياتهم الدنيا، ويبين لهم قصرها، ليبين لهم أن فوزهم في الدنيا لا شيء أمام خسارتهم في الآخر .

وهذا المشهد الذي عرضته السورة في آخرها للآخرة، مشهد يهتز له القلب، " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " [٣٧ق] .

جميع الحقوق محفوظة

والقرآن يعرض علينا هذا المشهد، وكأننا نراه بأعيننا حاضراً أمامنا، وقد تحقق هذا الحضور باستخدام الحوار والتجسيم والتخييل، والأفعال الماضية، والموسيقى المنغمة (خاصة المدود بأنواعها) .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

انظر مثلاً في هذه الآيات " ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون، قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضآلين، ربنا أخرجنا منها فإنا ظالمون" [١٠٥-١٠٧].

وانظر كيف عبر عن الحياة الدنيا بزمن ماض (ألم تكن) (فكنتم) (غلبت) (كنا) فكأن الدنيا قد طويت، والقيامة قد قامت. وكيف صورت الآيات (الشقاوة) بإنسان يغلب السعادة (غلبت علينا شقوتنا) ليعبروا بذلك عن تمكن الشقاوة منهم فهي لا تُغلب. وانظر كيف ساهم الحوار في كشف ما في نفوس الكفار من حسرة وثبور. وانظر كيف صور الجانب

الإيقاعي جو الحسرة، حيثُ نجد في أقوال الكافرين وفرة في حرف (الألف) المدية، إضافة إلى المد المنفصل والمد اللازم، وكأن هذه المدود تأوهات متحسر متألم .

ثم بعد أن ينتهي مشهد القيامة، يأتي هذا التقرير الذي يخاطب به الكفار، ويصلح أن يكون هذا الخطاب في الآخرة أو في الدنيا، وهذا من بديع أسلوب القرآن " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون " أفحسبتم أيها الخلق إنما خلقناكم سدى وباطلاً، تأ:لون وتشربون وتفعلون ما تشتهون دون حساب أو عقاب " فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم" تعالى الله عن هذا الظن الباطل الذي يرجع إلى القدح في حكمته، لأن الملك الذي يقضي بما يشاء الحق، الذي لا يعبث، و (لا إله إلا هو) فلا إله يبطل حكمه، وهو (رب العرش الكريم) الذي هو (العرش) مجمع أزمة الأمور، ومنه يصدر الأحكام والأوامر الجارية فيه. فمن كان كذلك لا يمكن أن يخلق شيئاً سدى (سبحانه).

" وتنتهي سورة الإيمان بتقرير القاعدة الأولى للإيمان .. التوحيد.. وإعلان الخسارة الكبرى لمن يشركون بالله، في مقابل الفلاح في أول السورة للمؤمنين وبالتوجه إلى الله في طلب الرحمة والغفران وهو أرحم الراحمين[٤١]".

" ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به، فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ".

---

[41] سيد قطب ، الظلال، م٤، ص ٢٤٨٢.

وهكذا تتناسق الخاتمة مع المطلع، ويتعانق هذان القوسان ليشكلا حقيقة السورة (قد أفلح المؤمنون) (..إنه لا يفلح الكافرون) وعادة القرآن " إن موضوع السورة المحوري يُذكر في بدء السورة وختامها "[٤٢].

وقد بدأت السورة بتقرير فلاح المؤمنين ، ولم تبدأ بـ (إنه لا يفلح الكافرون) ولعل ذلك يعود إلى أن الله يريد[٤٣] من عباده أن يكونوا مؤمنين مفلحين، ولا يرضى – سبحانه – لعباده الكفر، لذا قدم المحبوب وآخر المكروه ، تلطفاً في مخاطبة العباد.

وكما بدأت السورة بالخشوع في الصلاة، تنتهي بهذا الدعاء الخاشع ؟

" وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"، وهو دعاء يشعر بحاجة المؤمنين المتميزين إلى هذا الدعاء، وهو سلاح لا يستغني عنه مؤمن، وقد لجأ الأنبياء إلى هذا لسلام، كما مر معنا في هذه السورة.

وهو دعاء يجبر التقصير الذي يقع فيه المؤمنون في مسيرتهم، وهو يشير من جانب آخر إلى أنّ هذه الشخصية المتكاملة المتميزة التي رسمتها السورة للمؤمنين، لا تعني بحال أنهم ملائكة لا يخطئون ، وإن وقوع بعض الزلل منهم لا ينزلهم عن هذه الذروة ما دام أن هناك توبة.

---

[42] د. أ؛مد نوفل، تفسير سورة النمل، جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، مركز حراء، عمان ، ٢٠٠٣، ص ٥٣.

[43] إرادة شرعية لا كونية .

وهو دعاء إن تحقق، فقد فاز المؤمنون بالفلاح الذي ما بعده فلاح، هذا الفلاح الذي جاءت السورة الكريمة ترسي قواعده، وترسم ملامحه.

وأشير إلى أن الفئة المؤمنة التي تحدثت عنها السورة، فئة متميزة في إيمانها، ومواقفها وأوصافها، فهي الفئة الرائدة التي حملت دعوة الأنبياء على أكتافها..

وهي الفئة التي تسنمت من الصفات أعلاها " الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون " [٢-٤] " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة إنهم إلى ربهم راجعون " [٦٠] " ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون " [٩٦].

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالسورة الكريمة رسمت الأفق الأعلى للمؤمنين، ليحاول كل مخاطب أن يكون قريباً من هذا الأفق.

هذا هو موضوع السورة وهذه هي خطوطها التي جاءت نابضة بالحياة، ولكن كيف تلاحمت هذه الخطوط، وكيف تداخلت؟ فهذا ما لا نستطيع أن نلخصه وإنما نحيل عليه كما ذكرناه في هذا الفصل، ولكني أحب أن أختم هذا الفصل بهذه العبارات القيمة لنادرة من نوادر العصر وهو محمد دراز .

وعلماً بأن ما قاله عن سورة البقرة ينطبق على سورة (المؤمنون) " تلك هي سورة البقرة .. أرأيت وحدتها في كثرتها: أعرفت اتجاه خطوطها في دوحتها؟ أرأيت كيف التحمت لبناتها من غير ملاط يمسكها وارتفعت سماؤها بغير عمد تسندها؟ أرأيت كيف انتظم من رأسها وصدرها وأحشائها وأطرافها، لا أقول أحسن دمية.

بل أجمل صورة حية ، كل ذرة في خليتها، وكل خلية في عضوها، وكل عضو في جهازه، وكل جهاز في جسمه، ينادي بأنه قد أخذ مكانه المقسوم، وفقاً لخط جامع مرسوم رسمه مربي النفوس ومزكيها، ومنور العقول وهاديها ومرشد الأرواح وحاديها..

لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية (معجزات) ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات[٤٤]! وسبحان القائل (الر، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) [١ هود] .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

صدق الله العظيم

وتستغفر الله من زلات الأقلام وشطحات الأفهام

والحمد لله رب العالمين

(وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين) آخر المؤمنون

---

(44) محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم، ط٢، دار القلم ، الكويت، ١٩٧٠، ص ٢١٠-٢١١.

نتائج البحث

قدمت هذه الدراسة، دراسة أسلوبية لسورة " المؤمنون " ، استمدت أصولها من جهود القدماء والمحدثين، وهدفت إلى الكشف عن مزايا النص، واستنكاره علاقاته، دون الاكتفاء بالتناول الجزئي للنص، وهدفت إلى محاولة الوصول إلى فهم يُأمل أن يكون متكاملاً في تفسير النص القرآني، وتأويله، ورصد ظواهره الأسلوبية.

وقد حاولت هذه الدراسة أن تلامس البنية اللغوية للنص القرآني من جوانبه المتعددة، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي، فكانت النتائج التي خرجت بها هذه الرسالة:

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

١-في المستوى الصوتي، أبانت الدراسة عن أن سورة المؤمنون، شملت أنواعاً من الإيقاعات الصوتية:

أ-لقد كان تكرار الصوت المفرد في السورة، وسيلة تتماشى ومتطلبات الموقف المراد تجسيمه وتصويره، فهو يستخدم – مثلاً – الأصوات الانفجارية، ليعبر بها عن الجد والحزم والشدة، والأصوات المفخمة للتعظيم والتفخيم .

ب-يستخدم القرآن المقاطع الصوتية لإيجاد الانسجام الصوتي بين الآيات، كما أن لطول المقاطع وقصرها، مقاصد دلالية وصوتية.

جـ-أبرزت الدراسة صوراً من التوازن المقطعي في السورة، لعلها تكون غير مسبوقة.

د–تضمنت السورة أنماطاً متعددة من الفواصل، لنيل أقصى طاقة صوتية وإيقاعية ممكنة، أثرت التعبير بأنغام موسيقية متنوعة.

هـ–بينت هذه الدراسة أن فواصل القرآن – في غالبها – تُعد محوراً معنوياً تدور حوله الآية، إلى جانب دورها الإيقاعي.

٢–في المستوى الصرفي :

أ–استخدمت السورة النكرة والمعرفة استخداماً متميزاً، لتحقيق عدة أغراض ، وحاولت الدراسة أن تربط هذا الاستعمال ببنية السورة ، ووحدتها، وأبانت عن بعض أسرار هذا الاستعمال.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب–كما كشفت الدراسة عن أسرار الأفعال في السورة، الماضي والمضارع والأمر والمبني للجمهور، وحاولت أن تربط بين هذا الاستعمال وموضوع السورة العام .

٣–وفي المستوى التركيبي أبانت الدراسة عن دلالة استخدام الجمل الإسمية والفعلية في السورة، وأبرزت جوانب من الاستعمال المتميز لما يسميه علماء البلاغة، موضوعات علم المعاني، مع ربط هذه الموضوعات بغرض السورة وشخصيتها وروحها التركيبية.

٤–وفي المستوى البياني، جلّت الدراسة بعضَ أسرار التشبيه والاستعارة في السورة، وسعة معانيهما.

٥-وفي فصل الوحدة، أظهرت الدراسة بعض الجوانب المتميزة ، لتماسك الـنص القـرآن على مستوى الآية والآيات والسورة كالة.

وأثبتت أن لهذه السورة موضوعاً واحداً تعالجه. وبينت خطوط هـذا الموضـوع، وكيفية معالجته، هذه الكيفية التي لا مثيل لها في كلام البشر " قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض " [٦ الفرقان].

٦-وهذه الدراسة تدعو الباحثين إلى مزيد من التقصي، في فهم الجانب الصوتي (خاصـة على المقاطع، الذي لم يأخذ حقه الكامل من التطبيـق)، والجانـب الـصرفي والتركيبـي والبلاغي، مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب التكاملي للسورة، وعدم التجزيء فـي دراسـة النصوص القرآنية. والتعمق في فهم آليات ترابط الآيات في السورة، بما يخـدم غرضـها العام.

" والحمد لله أولاً وأخيـــراً،،، "

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : قائمة المصادر :

- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، (ت ١٢٧٠هـ) روح المعاني في فسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٥ مجلداً، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٧م .
- الأندلسي، أبو حيان الغرناضي، محمد بن يوسف، (ت ٧٥٤ هـ) – البحر المحيط في التفسير ، ١٠م، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ) – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، ٨م، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، (ت ٧٩١هـ) – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ط١، ٢م ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٨م .
- الدحداح ، ابو فارس (معجم إعراب الألفاظ والجمل في القرآن الكريم)، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٩م .
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، (ت ٥٠٢هـ)– المفردات في غريب القرآن، ط٣، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠١م .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد ، (ت ٥٣٨هـ) – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، ٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م .
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، (ت ٩٨٢هـ) – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
- الشهاب الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر ، (ت١٠٦٩هـ) – حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي علي تفسير البيضاوي، ط١، ٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م .
- الطباطبائي، محمد حسين – الميزان في تفسير القرآن، ط٢، ٢٠م، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م .
- ابن عاشور، محمد الطاهر – تفسير التحرير والتنوير، ١٥م، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس، ١٩٩٧م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الأندلس، بيروت.
- فخر الدين الرازي، محمد بن ضياء الدين عمر ، (ت ٦٠٤هـ) – التفسير الكبير ومفاتح الغيب ١٧٠م، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٤م .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- قطب ، سيد – في ظلال القرآ ن، ط١٧، ٦م ، دار الشروق، القـــاهرة ، بيـــروت ١٩٩٢م .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانيـــاً : قائمة المراجـــــــع :

أ-المراجع القديمـــــــة :

- البروسوي، إسماعيل حقي (ت ١١٣٧هـــ) – تفسير روح البيان، ١٠م، دار إحيـــاء التراث العربي، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١ هـــ) – أسرار البلاغة، ط١، تحقيق عبد الحميـــد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠١م.
- الجرجاني – عبد القاهر (ت ٤٧١) – دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضـــا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الخطيب الإسكافي – درة التنزيل ونمرة التأويل في بيان الآيات المتـــشابهات فـــي كتاب الله العزيز، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م .
- الروماني – النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.
- سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر – الكتاب، ط٣، ٥م ، تحقيق عبد السلام هـــارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٨٨م .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، (ت٩١١هـــ) – الإتقان في علـــوم القـــرآن ط٤، مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر – ١٩٧٨م .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت ٣١٠هـ) – تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، ط١، ١٢م ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التميمي (ت ٢١٠هـ) – مجاز القرآن، حققه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر ، ١٩٨٨م.
- ابن عجيبة الحسني، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت ١٢٢٤هـ) – البحر الحديد في تفسير القرآن المجيد، ط١، ٨م ، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م .
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) – فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، ١٥م، مكتبة دار السلام، الرياض، مكتبة دار الفيحاء ، دمشق، ١٩٩٧م .
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥) – معجم مقاييس اللغة ، ٦م، دار الفكر، ١٩٧٩م .
- فخر الدين الرازي، محمد بن ضياء الدين عمر ، (ت ٦٠٤هـ) – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ) أ–بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٦م، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الإسلامية، مصر ، ١٩٦٣م . ب-القاموس المحيط، ط٦، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) – الجامع لأحكام القرآن، ١٠م، تعليق عرفات العشا، دار الفكر ، ١٩٩٣م .
- القزويني، (ت ٧٣٩هـ) – الإيضاح في علوم البلاغة ، ط١، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٠م .
- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥) – لطائف الإشارات ، ط١، ٣ مجلدات، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م .
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) – بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، ط١، ٥م، جمعة ووثقه يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٣م .
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، (ت ٧٧٤هـ) – مختصر تفسير ابن كثير، ط٣، ٣م ، اختصار وتحقيق محمد الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- الكيّا الهَّراسي، عماد الدين بن محمد الطبري، (ت ٥٠٤هـ) – أحكام القرآن ط١، مجلدان ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- محيي الدين زادة، محمد بن مصلح الدين مصطفى (ت ٩٥١هـ) – حاشية محيي الدين زادة على تفسير البيضاوي، ط١، ٨م ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- المصري،
- ابن منظور ، أو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت (٧١١هـ)، لسان العرب، ١٥م، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م .
- ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين (ت ٧٦١هـ) ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب-المراجع الحديثـــــــة :

- اسبير، محمد سعيد، وجنيدي بلال – معجم الـشامل فـي علـوم اللغـة العربيـة ومصطلحاتها، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م .
- أنيس، إبراهيم – الأصوات اللغوية ، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.
- باجودة، محمد – الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، دار الكتب الحديثة عابدين.
- بدوي، أحمد – من بلاغة القرآن، ط٣، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٠م.
- بشر ، كمال محمد – الأصوات العربية، مكتبة الشباب، مصر.
- بيومي – محمد رجب – البيان القرآني، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧١م.
- جوهري ، طنطاوي – الجواهر في تفسير القرآن ، ط٣، ١٣م، المكتبة الإسلامية، ١٩٧٤م.
- حسان، تمام – البيان في روائع القرآن، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م .
- أبو حمدة – محمد علي – البهيج في أساليب البيان في القـرآن الكـريم والحـديث الشريف ونصوص من العربية، ط١، دار عمان، عمان ، ١٩٩٩م .
- حميدة، مصطفى – أساليب العطف في القرآن الكريم، ط١، مكتبة لبنان ناشـرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لو نجمان.
- حوى، سعيد – الأساس في التفسير ، ط١، ١١م، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٥م.
- الخطيب، عبد الكريم – التفسير القرآني للقرآن، ٥م ، دار الفكر العربي، ١٩٦٧م.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- الخولي، محمد علي – الأصوات اللغوية، دار الفلاح للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٠م.
- دراز ، محمد – أ- دستور الأخلاق في القرآن، ط١، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٣م. ب-النبأ العظيم، ط٢، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٠م.
- درويش، محيي الدين – إعراب القرآن وبيانه، ١٠م، دار الإرشاد ، حمص ، ١٩٩٩م .
- الدغامين، زياد – منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط١، دار البشير، عمان ، ١٩٩٥م .
- الرافعي، مصطفى صادق – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- السامرائي، فاضل – أ-التعبير القرآني، ط١، دار عمار، عمان، ١٩٩٨م. ب- لمبسات بيانية، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩م.
- السعدي، ابو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط٢، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- سلطان ، منير – الفصل والوصل في القرآن الكريم، ط٢، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧م .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- شرف الدين ، جعفر – الموسوعة القرآنيـــة، خـــصائص الـــسور، ط١، ١٢م، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت ١٩٩٩م .
- شكري ، أحمد خالد وآخرون – المنير في أحكام التجويد، ط٤، عمان، ٢٠٠٠م.
- الصابوني، محمد علي – صفوة التفاســير ، ط١، ٣م ، دار الـــصابوني، القـــاهرة ١٩٩٧م.
- الصغير ، محمد حسين – الصوت اللغوي في القرآن ، ط١، دار المؤرخ العربـــي، بيروت، ٢٠٠٠م .
- عبد التواب، صلاح الدين – الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م .
- عبد الجليل ، عبد القادر – الأصوات اللغوية ، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيـــع، عمان، ١٩٩٨م .
- عبد الرحيم ، عبد الجليل – أ – التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي ميزان، ط١، (د.ن) ، ١٩٩١م . ب–لغة القرآن الكريم، ط١، مكتبة الرسالة، عمان، ١٩٨١م.
- عبد المطلب ، محمد – البلاغة والأسلوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م
- عثمان، عبد الفتاح – دراسات في المعاني والبديع، مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٨٢م.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- أبو علي ، محمد بركات – أ – الآية التفسيرية وموقعها من البيان القرآني والبلاغة العربية، ط١، دار وائل للنشر ، عمان ، ٢٠٠٠م .ب–مقدمة في دراسة البيان العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٦م.
- أبو عودة ، عودة، وآخرون – اللغة العربية (المستوى التأسيسي الأول) ط١، مطابع وزارة الأوقاف ، عمان ، ١٩٩٠م .
- الغزالي، محمد – نحو تفسير موضوعي، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥م.
- فضل الله، محمد حسين – من وحي القرآن، ط٢، ٢٤م، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٨م .
- فيود، بسيوني – من بلاغة النظم القرآني، ط١، مطبعة الحسين الإسلامية ، مصر، ١٩٩٢م .
- القاسمي – محاسن التأويل ، ط١، ٧م ، دار إؤياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م
- قطان، مناع – مباحث في علوم القرآن، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- قطب ، سيد – التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت والقاهرة.
- قطب ، محمد – دراسات قرآنية، ط٦، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ١٩٩١م.
- كشك، عبد الحميد – في رحاب التفسير ، ٩م، المكتب المصري الحديث، القاهرة.
- لاشيق، عبد الفتاح – أ– البيان في ضوء أساليب القرآن، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م. ب– صفاء الكلمة، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٣م.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- نحلة ، محمود أحمد – دراسات قرآنية في جزء عـــم، دار المعرفـــة، اســـكندرية، ١٩٨٨م.
- نقرة ، التهامي – (سيكلوجية القصة في القرآن)، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م
- النوري، محمد جواد – أ- علم أصوات العربية، ط١، منشورات جامعـــة القـــدس المفتوحة، ١٩٩٦م . ب-فصول في علوم الأصوات، ط١، مطبعة النصر التجارية، نابلس ، ١٩٩٣م .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جـ-الرسائل الجامعيـــــــــة :

- بلخضر ، أحمد لزهري – التشبيه صوره وألفاظه ، رسالة ماجستير، جامعة باتنه، الجزائر، سنة ١٩٩٢م.
- الدراويش، حسين – النظم القرآني في سورة البقرة، رسـالة دكتـوراه ، الجامعـة الأردنية، ١٩٨٦م.
- رمضان ، أحمد فتحي – الاستعارة في القرآن الكريم، رسالة ماجـستير، جامعـة الموصل، العراق.
- سلطان، نوال – النداء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٥م.
- صبح، خلدون – التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، رسـالة ماجـستير، جامعـة دمشق، ١٩٩٥م.
- عثمان، أسامة عبد المالك – ظواهر أسلوبية وفنية فـي سـورة النحـل، رسـالة ماجستير، جامعة النجاح في الوطنية، نابلس.
- عدمان، عزيز – سورة الفرقان ، دراسة أسـلوبية – رسـالة ماجـستير، جامعـة الجزائر، الجزائر، ١٩٩٤م .
- غنام، محمد – أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم على رأي عبـد القـاهر الجرجاني – رسالة ماجستير، الأردنية، ١٩٩٣م .

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

- القطبي ، الظاهر – الاستفهام بين النحو والبلاغة، رسالة ماجستير، جامعة حلب ١٩٨٧م.

د–الدوريات :

- حسن سامي عطا (المناسبات بين الآيات والسور) مجلة دراسات ، مجلد ٣٠، عدد ١، ٢٠٠٣م .
- فاندي، سعيد سالم (الوحدة المعنوية في القرآن الكريم) مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدو، ١٦، ١٩٩٩م .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هـ–منشورات المؤسسات :

جمعية المحافظة على القرآن الكريم، مركز حراء، تفسير سورة النمل لأحمد نوفل، عمان ، ٢٠٠٣م .